يُنشر لأول مرة على نسخته الخطّيّة الوحيدة

شرح كتاب الكبائر

للإمام الشيخ المجدِّد
محمد عبد الوهاب رحمه الله
(١١١٥ - ١٢٠٦) هـ

شرحه
الداعي عقيل بن عمر
(القرن الثالث عشر للهجرة)

حققه وعلّق عليه
أياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

ISBN 9953-81-332-9

9789953813325

ISBN 9953-81-332-9

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

شرح
كتاب الكبائر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا كتاب جديد ضمن مشروعنا الهادف لإخراج الكتب المخطوطة الجديرة بالتحقيق، والتي جُهل كتّابها ومؤلفيها، وكنت قد أخرجت كتاب «مجمل الرغائب فيما للإمام أحمد من المناقب» للخزرجي الحنبلي في دار ابن حزم الغراء .

وهذا شرح فريد نادر لكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وندرته تأتي، من عدّة وجوه:

- كونه شرحاً لكتاب الكبائر ولا نعرف شرحاً غيره.
- كونه من المؤلفات حول كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ولم يشر له أي أحد ممن ترجم له أو سرد مؤلفاته، علماً أنّي كنت نشرت كتاباً يماثله لم يعرف وهو" مختصر تفسير المعوذتين لابن القيم «للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو من نوادره، وقد نشرته في دار ابن حزم الغراء.
- أن مؤلفه مجهول لا يعرف على الأقل عند محقق هذه الكتاب.

ومثل هذه المخطوطات تهمل إما لمجهولية مؤلفيها أو لعدم شهرتهم بعالم التأليف، وهذا يحرم كثيراً من القراء من فوائد وفرائد ومزايا وإن جهل قائلها، رغم

أن المنهج الإسلامي يقوم على أساس: (أنّ لا ننظر إلى مَنْ قال، بل إلى ما قال) و(أن لا نعرف الحق بالرجال بل نعرف الحق ونعرف أهله)[(١)].

وكتابنا (شرح كتاب الكبائر) من هذا النمط، سلك فيه شارحه مسلكاً فريداً، فقد ربط الأبواب بعضها ببعض، ثم شرحه على أساس وضعه الشارح لنفسه وذلك بإسقاطه على كلّ الكبائر وهو ما سماه «الأمور الأربعة» والذي سأشرحه فيما بعد.

ورغم كل المؤاخذات على الكتاب فيبقى في جوهره كتاباً حوى نفائس ومعاني جديرة بالاهتمام والقراءة.

أسأل الله العظيم أن يوفقني لخدمة هذا السِفر، وأن ينفع كل مَنْ يطالعه، وأن ينفعني أولاً ويجعله خالصاً لوجهه ولا يجعل لأحد منه شيئاً، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

المحقق

---

(١) هذهِ الكلمة مشهورة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المؤلفات في موضوع الكبائر:

موضوع الكبائر من الموضوعات التي حظيت باهتمام جمع من أهل العلم وأقصد بذلك من أفرده بالتصنيف، وسأسرد مجموعة من المؤلفات القديمة والحديثة ممن اعتنى بموضوع الكبائر:

١- الكبائر[1] للبرديجي، (ت: ٣٠١هـ)، طبع.

٢- عقوبة أهل الكبائر، لأبي الليث، السمرقندي الحنفي (ت: ٣٧٣هـ) وهو جزء من «تنبيه الغافلين».

٣- الصغائر والكبائر، مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) وهو مفقود.

٤- الكبائر، لأبي عربي، صاحب وحدة الوجود المعروف.

٥- أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي، الشافعي (ت: ٦٣٠هـ) وهو مفقود.

٦- الزاهر في بيان ما يتجنب من الخبائث الصغائر والكبائر، لعلي بن محمد بن فرحون (٦٤٦هـ)، طبع.

٧- الكبائر، للإمام الذهبي[2] (ت: ٧٤٨هـ) .

---

(١) وهو جزء فيه من روى عن النبي ﷺ من الصحابة في الكبائر.

(٢) هذا الكتاب طبع قديماً ثم اكتشف أنه ليس للذهبي بل هو إضافة على كتاب الذهبي ثم وجد الأصل الصغير وطبع عدّة طبعات.

٨- الكبائر، للإمام ابن قيم الجوزية[١]،(ت: ٧٥١هـ).

٩- الكبائـر، للعلائي (ت: ٧٦١هـ) لعله جزء من كتابه «المجموع المذهب في قواعد المذهب»

١٠- الكبائر لابن النحاس[٢].

١١- جواهـر الذخائـر في شـرح الكبائـر والـصغائر، للشيخ رضي الدين محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي.

١٢- رسـالة الكبائـر والصغائر للقاضي جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني (٨٢٤هـ)، مفقود.

١٣- الشمس المنيرة في تعريف الكبيرة والصغيرة، لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ.

١٤- إرشـاد الحائـر علـى علـم الكبائـر، ليوسـف بـن عبد الهادي (ت: ٩٠٩هـ) مخطوط وهو محقق كرسالة علمية بجامعة أم درمان بالسودان ١٤١٥هـ.

١٥- الجواهر في عقوبة أهل الكبائر لزين الدين المليباري. (ت: ٩٢٨هـ)، طبع.

١٦- جواهـر الذخائـر في الكبائـر والصغائر، لأبي البركات محمد بن محمد المغربي العامري (ت: ٩٤٨هـ) وهي قصيدة رائية.

١٧- الذخائر في بيان الكبائر، لمحمد بن علي بن طولون الصالحي (ت:٩٥٣هـ).

---

(١) هـذا الكـتاب ثابـت لابـن القـيّم وقـد أشار له عِدّة مَنْ المؤلفين، وأغرب ما وجدته ما نقله الألوسي في «غايـة الأمانـي في الرد على النبهاني» راداً على ابن حجر الهتمي إن جل كتابه الزواجر مأخوذ من كلام ابن القيّم.

ونقل منه ابن النحاس في تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين عدّة مقاطع، ولا يزال الكتاب مفقوداً.

(٢) هكذا سمّاه بعضهم ولعله تنبيه الغافلين أو جزءاً منه وقد طبع.

١٨- منظومة الكبائر، لأبي النجا موسى بن أحمد الحجاوي (ت: ٩٦٨هـ).

١٩- قصيدة في الصغائر والكبائر لابن نجيم، ٩٧٠هـ، وشرحها لحفيده زين الدين أحمد بن الشيخ إبراهيم بن نجيم المصري.

وله شرح لإسماعيل بن سنان السيواسي والقصيدة والشرح الأول والثاني كلها مطبوعة.

٢٠- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، ٩٧٤هـ . طبع[1]

٢١- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لوجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم الغيثي المقصري، (ت:٩٧٥هـ).

٢٢- الذخيرة الكثيرة في رجاء المغفرة الكبيرة، لعلي القاري (ت: ١٠١٤هـ)

٢٣- الدرة المنيرة في شروط الكبيرة، لمحمد بن محمد الغزي (ت:١٠٦١هـ).

٢٤- الذخائر لشرح منظومة الكبائر، لشمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي. (ت: ١١٨٨هـ)، طبع.

٢٥- منع الأثيم الحائر عن التمادي في فعل الكبائر، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت:١١٩٢هـ).

---

(١) له مختصرات مثل:

- زواهر الزواجر، لعبد الله بن أحمد الربتكي (ت: ١١٥٩) مخطوط.
- إتحاف النواظر مختصر الزواجر، لأبي بكر بن محمد بن عمر الملا الحنفي (ت: ١٢٧٠هـ).
- كنز الناظر مختصر الزواجر عن اقتراف الكبائر، لمحمد بن علي بن قاسم البيروتي، مخطوط.
- مختصر الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأحمد بن يوسف المصري، مخطوط.
- كبائر الذنوب لمحمد بن عثمان الخشت، طبع.

٢٦- حديقة السرائر في نظم ما جاء من الكبائر، لعبد الله بن محمد الكردي البيتوشي (ت: ١٢١١هـ)، مخطوط.

٢٧- طريقة البصائر إلى حديقة السرائر في نظم الكبائر، لعبد الله بن محمد الكردي البيتوسي (ت: ١٢٢١هـ)(١).

٢٨- تنوير البصائر في التحذير عن الكبائر، لمحمد معروف بن مصطفى النودهي الشهرزوري (ت ١٢٥٤هـ).

٢٩- حد البصائر في عدّ الكبائر، لمحمد شرف الكاندهلوي.

٣٠- خلاصة الشرائع والشعائر ومعرفة الصغائر والكبائر، للملتاني مخطوط.

٣١- تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة، للغماري.

٣٢- تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر والصغائر، لعبد القادر الطرابلسي الأدهمي الهيتمي.

٣٣- جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات العرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي. طبع

---

(١) كتب الأخ مشهور حسن سلمان في مقدمة كتاب الكبائر ص(١٩): إن هذا الكتاب عزاه مفهرس الأوقاف في بغداد لابن القيم وقد استشكل على الأخ مشهور ذلك، وحاول العثور على نسخة فلم يوفق وسبب استشكاله هو أن ناسخ المخطوط (محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن الحنبلي مات في سنة ٨١١ هـ) وكتاب «طريقة البصائر» للبيتوسي مات مؤلفه سنة (١٢٢١هـ) وهذا الإشكال عندي حله، فأنا ابن العراق وأنا أعرف من غيري بمخطوطاته، وقد كتبت سنة ١٤٢٢هـ في مقدمة تحقيقي لكتاب «الوابل الصيب» ص(١٣) والمطبوع في دار الرشد فذكرت: «أنّ الخطأ من المفهرس، فقد أخطأ في نقل الرقم المخطوط فنقل معلومات كتاب «الطرق الحكمية» لابن القيم وكتب اسم الكتاب الذي يليه وهو «طريقة البصائر» وهذا الخطأ جعل عشرات المحققين يقعون في هذا الإشكال ومنهم الأخ مشهور، وليس الخبر كالمعاينة، وقد حققت ذلك بيدي ورأيت المخطوط بعيني، ولله الحمد.

٣٤- الإملاء في الكبائر والمناهي الشرعية للنساء، صلاح فتحي هلل. طبع
٣٥- المهلكات من كبائر النساء، لسلمى بنت محمد. مطبوع
٣٦- الزواجر في التحذير من الكبائر ، لعلي الشربجي. مطبوع
٣٧- معجم الكبائر وأدلته الشرعية، لرجائي بن محمد المصري، طبع.
٣٨- اجتنبوا السبع الموبقات لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد.
٣٩- السبع الموبقات، لعبد الحميد كشك، طبع.
٤٠- اللعنات السبع، لمحمد سيد أحمد الأقرع.
٤١- كبائر النساء وصغائرهن وهفواتهن، لإبراهيم الجمل.
٤٢- حول تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر، لعثمان الصافي.
٤٣- الإيمان ومرتكب الكبيرة عند الفرق الإسلامية، لسلوى محمد مصطفى نصرة، رسالة علمية في جامعة عين شمس ١٩٩٠م.
٤٤- الكبيرة ومفهومها وعقوبتها، دراسة مقارنة في الفرق الإسلامية، مسلم بن سالم بن علي الوهيبي، رسالة ماجستير في جامعة آل البيت في الأردن(١).
٤٥- الكبيرة وحكم مرتكبها، رسالة علمية في كلية الدعوة وأصول الدين سنة ١٤٠٢ هـ لعبد الله بن سليمان بن حمد الجاسر.
٤٦- الكبيرة والآثار المترتبة عليها عند المتكلمين، رسالة علمية في كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، لثائر إبراهيم الشمري.

(١) هذهِ رسالة سلك فيها مؤلفها منهج الإباظية وهم جزء من الخوارج سلك مسلك المعتزلة والخوارج في مفهوم الكبيرة.

كتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

طبع كتاب الكبائر عدّة مرات وأقدمها في الهند، والكتاب مكوّن من أبواب وعددها (١٢٥) باباً، في كلّ باب آيات وأحاديث وفي بعضها أقوالاً للسلف من الصحابة والتابعين، إلا الباب رقم (٤١) (باب ازدراء النعمة والاستخفاف بحرمات الله) هذا الباب لا يوجد سوى اسمه وتحته بياض.

وكتاب الكبائر لا يختلف في أسلوبه عن مؤلفات الشيخ الإمام المجدد، وهو قلّة الكلام في واستخدام الحجج من الكتاب والسنة مع تبويب رائع فكلامه قليل ولكنه مبوب بشكل دقيق.

ويظن البعض أن كتاب الكبائر كتاباً عادياً كسائر كتب الكبائر ولكن الحقيقة غير ذلك، وسأشرح للقارئ كيف بوّب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتابه بلغة الأرقام.

- الكتاب في (١٢٥) باباً.

وقبل هذه الأبواب بدأها بمقدمة ليس فيها أي كلام للشيخ بل آيات وأقوال للسلف في الكبائر.

- (١٤) باباً الأولى تتعلق بالكبائر القلبية.

والباب رقم (١١) باب الفحش كرر في باب رقم (٨٣) باب تشييع الفاحشة في المؤمنين[١].

- ثم شرح ببيان كبائر اللسان من الباب رقم (١٥) إلى الباب رقم (٨١).

---

(١) التكرار ليس خطأ وإنما هما أمران مختلفان فالفحش شيء وإشاعته الفحش شيء آخر

- ثم جاء دور كبائر الأفعال من الباب (٨٢) إلى باب (١١٩).
- ثم أخيراً الكبائر المتعلقة المظالم من الباب (١٢٠) إلى باب (١٢٥).

أي أن كبائر كان لها القسط الأكبر وبعدها الأفعال ثم كبائر القلوب ثم المظالم.

وقد كانت الكبائر المذكورة متجانسة ومتقاربة؛ فقضايا اللسان: ذكر الفخر ثم الطعن في النسب ثم إدعاء نسباً ليس له ثم من تبرأ من نسبه ثم من أدعى ما ليس له أي أنّ الشيخ يجمع الكبائر المتقاربة في المعاني وهذا ما فهمه الشارح فاستطاع أن ينظم هذه الكبائر وينسجها بمؤلف مترابط إلا في مواطن يسيرة.

وترتيب الكبائر بالترتيب المذكور هي ميزة لكتاب الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

بقيت ملاحظة حول كتاب الشيخ – وهي ليست مما أنفرد بها الشيخ – ألا وهو إيراد أحاديث غير صحيحة وأحياناً مستنكرة ولا يمكن بمثل هذهِ الروايات أن تثبت الكبيرة، ولكن كل من كتب في الكبائر استند إلى مثل هذه الروايات.

والشيخ كان في زمان ضعف فيه علم الحديث جداً، وكان جُلّ اعتماد الشيخ على المعاني للراويات بصورة رئيسية ثم على صَحّة الروايات بالدرجة الثانية، واليوم نحن في زمان قويت فيه المعرفة الحديثية وضعف فهم المعاني الدقيقة والمطلوب كلاهما، وإن كان فهم المعاني أهم.

ترجمة الشارح

بحثت كثيراً عن ترجمة للشارح فلم أوفق بالعثور على أي شيء.

وكل المعلومات المتوفرة لدي، ما وجد في الصفحة الأولى على المخطوط: (... فالشرح لعقيل بن عمر).

وفي الصفحة الأخيرة (... وأنا عقيل بن عمر الداعي إلى الله..) وليس في داخل الشرح أي إشارة إلى شيخ من شيوخه أو تلميذ من تلامذته أو إشارة إلى مؤلّف ما .

ولم أتبين مذهبه هل هو حنبلي أم غير ذلك.

ولا أي إشارة إلى أي منطقة أو مدينة أو عصر أو زمان.

إذ نحن أمام شارح مجهول، ولم أجد إلا إشارتين:

الأولى: إنّ مركز المخطوطات والتراث والوثائق في جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت، حيث كتب مواصفات المخطوطة كتب إن تاريخ الخط هو (١٢٣٧هـ).

الثانية: إن المصّنف عقيل بن عمر أشار في بداية المخطوط إلى ما يلي (.. فالشرح لعقيل بن عمر والمتن للشيخ محمد بن عبد الوهاب عفى الله عنهما ورحم الله مَنْ ترحّم عليها...).

وقال في آخر المخطوط: (... أعلم أيها الناظر في هذه النسخة بأني بوبتها على ترتيب الماتن وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب..)

وفي هـذا إشـارة إلى أنـه ألّفـه في حـياة الـشيخ ولـيس بعـد وفاته، وهي إشارة وقرينة فحسب علماً أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ١٢٠٦هـ.

كمـا أنّ الـشارح اسـتخدم كلمـات عامـية تـستخدم في بـلاد العراق والجزيرة العربية واليمن وهذه إشارة إلى موطنه.

كمـا أنّ اسمه (عقيل بن عمر) يدلّ على أنه من هذه البلدان (العراق والجزيرة العربية واليمن).

ولعلّ الأيام تكشف لنا عن الشارح واسمه وهل له جهود أخرى؟

أمـا كلمـة (الداعـي) فهي تعني الواعظ أو المبشر، واشتهرت عند شيعة المغرب (العبيديين) ثم انتشرت في العصر المتأخر على الواعظ أو ما يسمى اليوم بـ(الداعية) وليس عن العالم أو طالب العلم.

منهج الشارح في شرحه:

كتاب الكبائر للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سبق الكلام عن منهجه، والكتاب يقع في (١٢٥) باباً تحت كل باب آية أو آيات ثم حديث أو عدة أحاديث وأحياناً أقوالاً للسلف من الصحابة والتابعين وهي طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مؤلفاته.

والشارح سلك في شرحه عدة مسالك:

الأول: أنّه ربط كل باب بالذي بعده فجعل الكتاب من أوله إلى آخره كأنه نسيج واحد، وكان ربطه في بعض الأحيان متكلّف لعدم تعلّق الأبواب بعضها ببعض.

الثاني: ذكر الشارح منهجه، فقد أعتمد على أربع أعمال قلبية سماها (الأمور الأربعة[1]) وهي:

الفكر: أي تذكر يوم الوعيد مع كل كبيرة للتجنّب.

بغض: بغض الكبيرة في الله.

حيرة: وهي رفع الهمّة حتى تفضي إلى تقوى الله.

مراقبة: وهي مراقبة الله حتى لا يقع في الكبائر.

ثم قال: إنّ كلّ كبيرة لا يقع فيها العبد مع هذه الأمور الأربعة فمدار تجنّب الكبائر هو الأعمال القلبية.

---

(١) هكذا ذكرها وهي عبارة غير فصيحة لذا أبدلتها في كل الكتاب بـ (الأمور الأربعة).

الثالث: استخدام الشارح أحاديث وآيات وأقوال للسلف تدعم شرحه ولم يستخدم اللغة أو الشعر أو الأمثال.

ذكر وقائع وأشياء جرت في عصره، وهي ليست أحداث معينة وإنما أشار لها على سبيل العموم. وكان الغالب عليه الوعظ دون استخدام أساليب السجع والجناس والطباق وغير ذلك من الأساليب الأدبية واللغوية.

وكان الاهتمام بالمعاني أكثر من الاهتمام بمباني الكلام واستخدم ألفاظاً عامية دارجة في زمانه وفي بيئته، وأحيانا كلمات غير فصيحة؛ كأن يجمع كلمة (الكذب) (الإكذاب) ويسمى (القيد) بـ (القياد) وغير ذلك.

الرابع : كان الشارح موفقاً في فهمه للمعاني الشرعية بشكل جيّد، ولكن ثقافته شبيهة بثقافة أهل زمانه فأكثر الأحاديث التي ذكرها خلال شرحه أحاديث ضعيفة أو ضعيفة جداً أو منكرة أو موضوعة أولا أصل.

كما إنه عزى بعض الأحاديث بشكل غير صحيح.

وكان يذكر متون بعض الروايات بالمعنى.

كما إنه لم يذكر أي مؤلَّف أو كتاب أو اسم عالم.

ولعل لهذا أسباباً متعلّقة بظروف تأليف الكتاب، ولمن ألّف؟ وما غاية تأليفه؟ كل هذا نجهله ولا نعلم عنه شيئاً.

ويبقى الكتاب قيماً في معانيه وفي أنه الشرح الوحيد لكتاب الكبائر الذي ألف قديماً[1].

بقي أن نذكر بعض الملاحظات حول الشرح:

١) لا أدري هل كان للشارح نسخة من كتاب الكبائر تخالف نوعاً ما في متون أحاديثها المطبوعة لدينا، فقد كان أحياناً ينقل بالمعنى عن كتاب الكبائر.

٢) الباب (٤١) في كتاب الكبائر(باب ازدراء النعمة والاستخفاف بحرمات الله) هذا الباب جاء في كل الطبعات لكتاب الكبائر مكتوب وتحته بياض فلم يذكر فيه أي نص بينما ذكر الشارح عدّة أحاديث وآيات، فلا أدري هل أضاف الشارح منه الشرح - وهو الراجح عندي - أم أنه عثر على نسخة فيها الشرح، وهو ما لا أرجحه.

٣) أكثر الشارح - كما سبق ذكره - من الأحاديث الضعيفة جداً والمنكرة، وبعضها يحمل معاني غير سليمة.

---

(١) ألف الفاضل محمد بن رياض الأحمد السُّلفي الأثري شرحاً له طبع في دار الرُشد تحت اسم «تذكير أولي البصائر شرح كتاب الكبائر».

وكتب تحته: (وهو شرح مجموع من كلام عدد من الأئمة الأعلام كالنووي وابن حجر والطيبي والمناوي والسعدي وابن عثيمين وغيرهم) والكتاب عبارة عن شروحات للمذكورين لمتون الشيخ محمد بن عبد الوهاب دون تدخل من الجامع لذا فقد نقل أشياء تخالف نهج أهل السُّنّة مثلما نقل في صفحة (٣٥٥) عن المناوي في معنى «ليس منا» وهو كلام استنكره الإمام أحمد ونقل استنكاره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٥) ولعل في الكتاب ملاحظات أخرى إذْ جل المعاصرين جامعين وليسوا محققين.

كـل هـذهِ الأمـور لا تقلل من شأن هذا الشرح بل حوى على التفاتات قيّمة لم أجـدها في غـيره مـن الـشروح، وكـذلك حـوى معانـي رصينةً في العقيدة تدلُّ على سلامة معتقد الشارح.

وصف المخطوط:

هـذا المخطـوط صـوّرته من جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، من مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

وأصله من جامعة برنستون، مجموعة جاريت- أمريكا (٩٦٩).

ورقمه في المركز (٣/ ٩٠٠١).

والمخطـوطة تقع ضمن مجموع من أربع رسائل وكتابنا هذا هو الثالث يحتل من الورقة (٩٠) إلى الورقة (١٣١).

كتبت بخط نسخ معتاد واضح مكتوب سنة (١٢٣٧هـ) مسطرته (٢٥ سطر).

وقد كتبت أبواب كتاب الكبائر جانب المخطوط.

ولم أعلم اسم الناسخ.

كتب في الصفحة الأولى بجانب العنوان ما يلي:

(روى ابـن أبـي الدنـيا قـال: (مرّ رجل بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بني فلان؟.

قال: بلى.

قال: ألست كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى.

قال: فما الذي بلغ بك ما أرى.

قال: تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السكون عما لا يعنيني[(١)].

وقيل: من كثر كلامه لم يجد حلاوة العبادة ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن طلب رضى الناس فلا ينتظر رضى الله، ومن أكثر الكلام فيما لا يعنيه بكذب وغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين السلام).

ولم أجد نسخة أخرى للمخطوط، لذلك أشرت إلى أرقام المخطوطة، جانباً علماً إن كل ورقة من المخطوط تحتوي على صفحة (أ، ب) وأن المخطوط يبدأ من الورقة رقم (٩٠) وينتهي ورقة رقم (١٣١)، أي المخطوط في (٤١ ورقة).

هذه كل المعلومات حول المخطوط.

(١) هذا الأثر عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١١٦، ٦٧٥)، وابن جرير (١٨/٥٤٨) ط. التركي.

عملي في الكتاب:

عملي في الكتاب أنصب على أمرين:

الأول: نص الكتاب.

فقد قمت بنسخ المخطوط الوحيد، ثم قارنته مع كتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد كانت في الأصل كلمات غير فصيحة بل هي عامية فقمت بتغيرها.

كما لم أشر إلى بعض الأخطاء النحوية والإملائية.

وكان هناك أخطاء في الآيات أهملته.

وأضفت أشياء كي تستقيم بعض الجمل ووضعتها ما بين [ ].

بعض الكلمات كانت تحمل زيادات (ال) التعريف أو (ألف) زائدة قمت بتغيرها ولم أشر لذلك.

الثاني: التخريج والتعليق على الخط:

● خرجت كل أحاديث الكتاب المشروح وأحاديث الشرح وأتبعت الآتي:

١) ما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به إبقاءً لهيبة الصحيحين.

٢) ما كان في غيرهما عزوته ثم حكمت عليه مستفيداً من أقوال العلماء القدامى والمعاصرين، وأحيانا أتوسع في التخريج. وأحياناً لا.

٣) خرجت الآثار وأقوال السلف.

• علقت على بعض المواطن مستدركاً أو معترضاً.
• عملت فهرساً للآيات والأحاديث والآثار إضافة للفهرس الموضوعي.

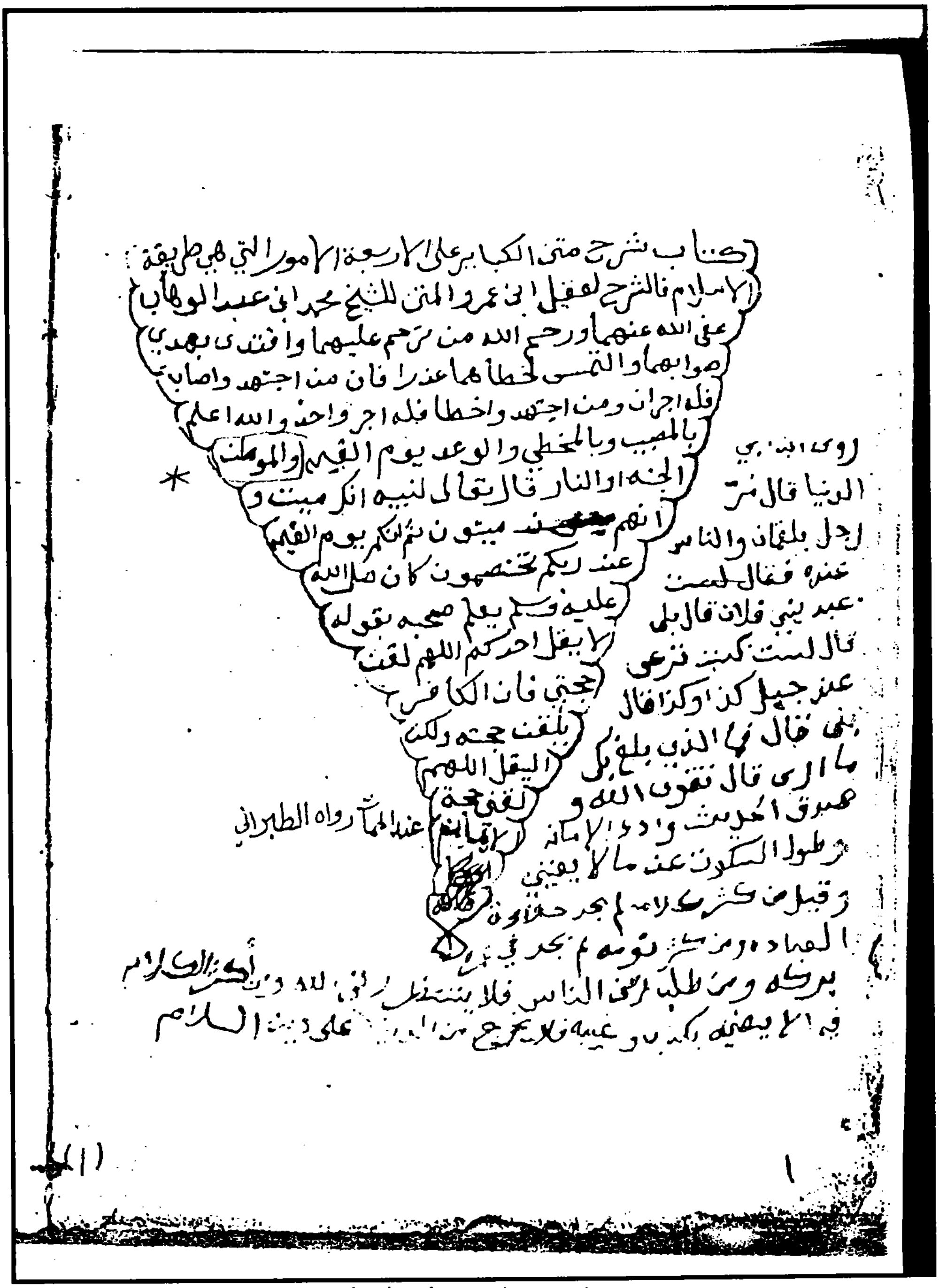
وختاماً أشكر كل ما أعانني على إخراج هذا الكتاب، أخص بالذكر الأخ أمجد بن إسماعيل آل عبد الله وأهله بما بذلوه من الإعانة في تحقيق هذا الكتاب.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجنبنا الكبائر أولاً وأن يتجاوز عن زلات القدم من الصغائر ثانياً، ويهدينا سبيل الرشد والسداد. وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

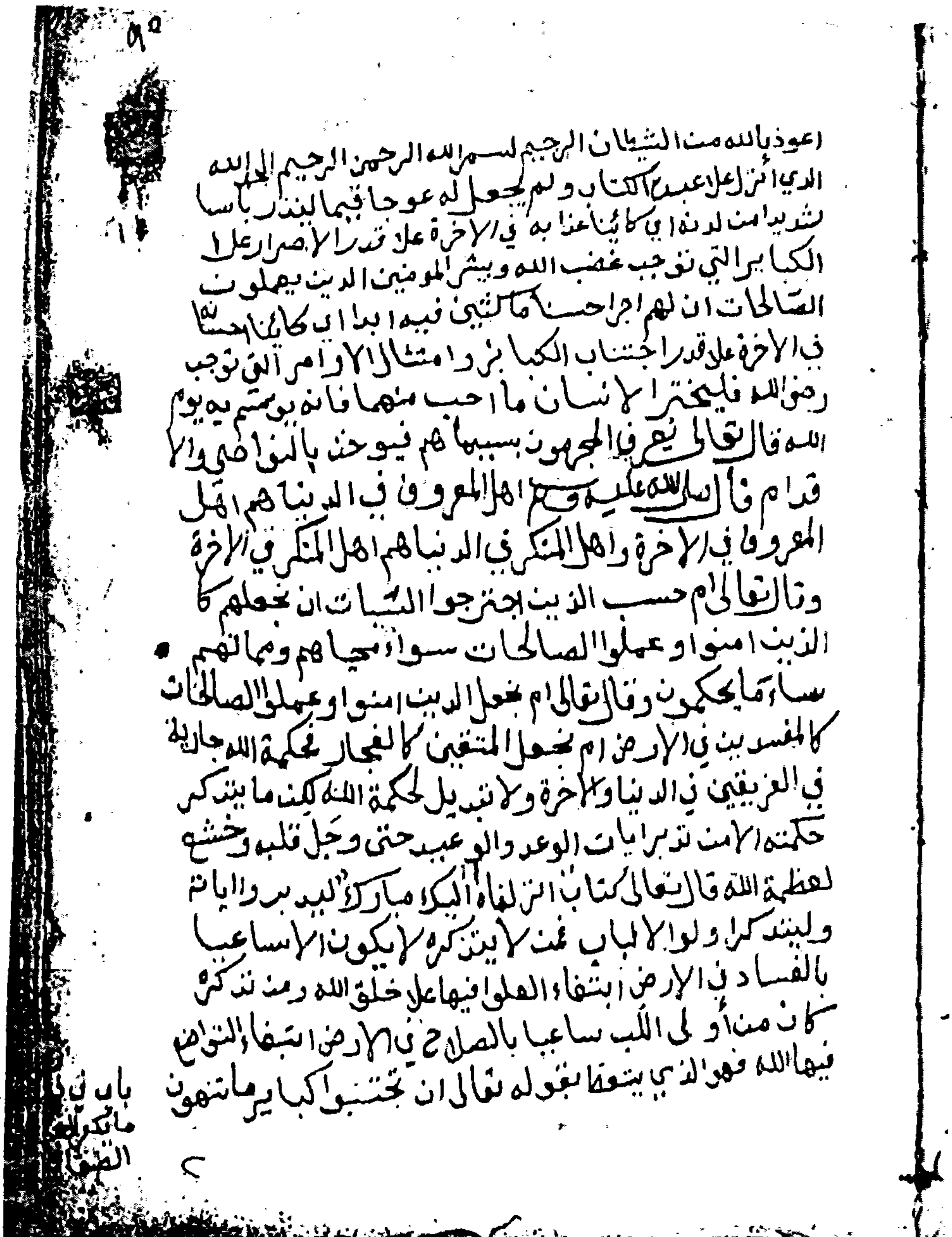
والحمد لله رب العالمين، والصلاة على المبعوث رحمه للعالمين.

حرره
أبو معاذ
إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم
القيسي البغدادي
عمّان/ الأردن
في ١٦ محرم سنة ١٤٢٧هـ

صور المخطوطات



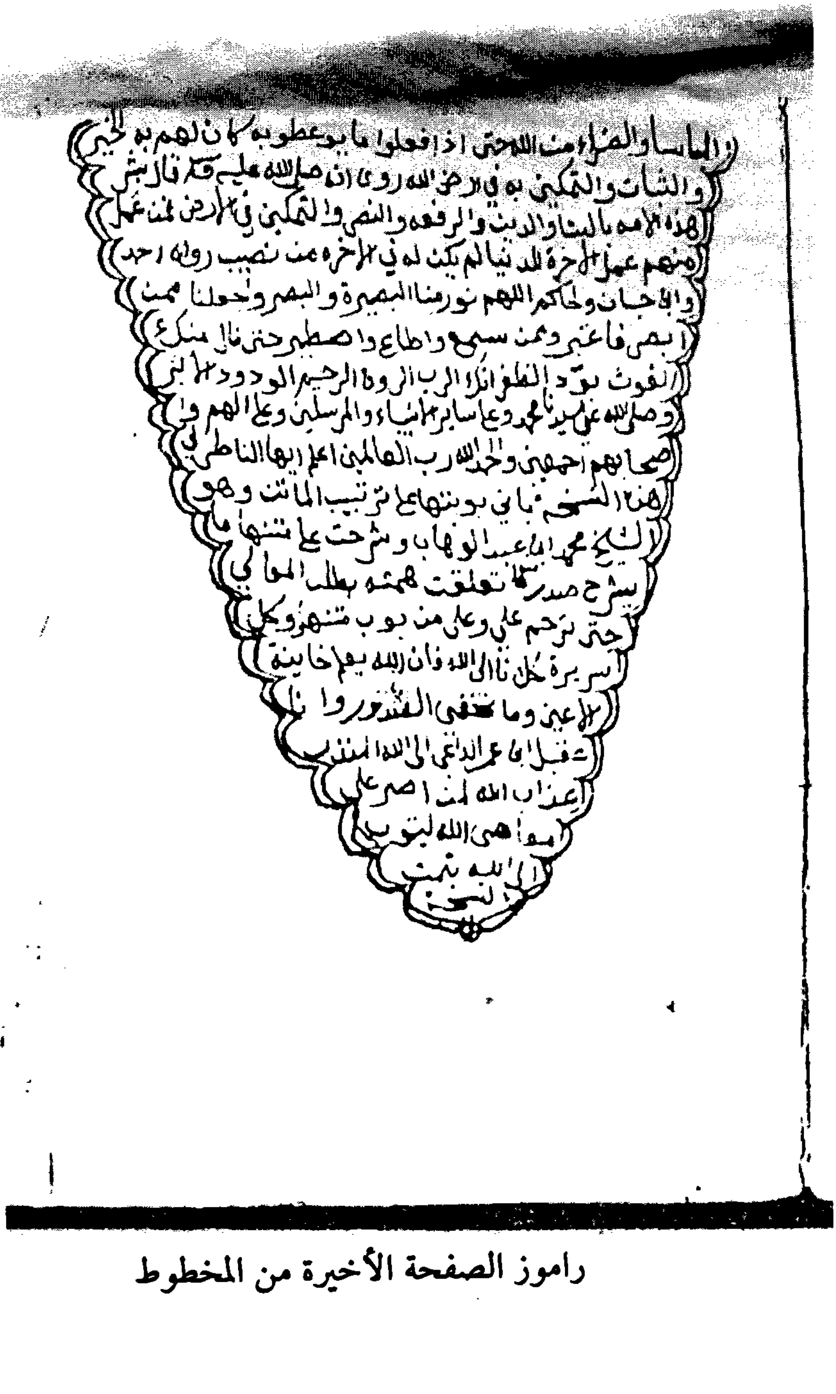
راموز غلاف المخطوط



اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا
شديدا من لدنه اي كان يا عذابه في الاخرة على قدر الاصرار على
الكبائر التي توجب غضب الله ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي كائنا حسنا
في الاخرة على قدر اجتناب الكبائر وامتثال الاوامر التي توجب
رضى الله فليختر الانسان ما احب منهما فانه يوسم به يوم
الله قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والا
قدام قال صلى الله عليه وسلم اهل المعروف في الدنيا هم اهل
المعروف في الاخرة واهل المنكر في الدنيا هم اهل المنكر في الاخرة
وقال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كا
الذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
ساء ما يحكمون وقال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فحكمة الله جارية
في الفريقين في الدنيا والاخرة ولا تبديل لحكمة الله لكن ما يتذكر
حكمته الا من تدبر ايات الوعد والوعيد حتى وجل قلبه وخشع
لعظمة الله قال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب فمن لا يتذكر لا يكون الا ساعيا
بالفساد في الارض ابتغاء العلو فيها على خلق الله ومن تذكر
كان من اولي الالباب ساعيا بالصلاح في الارض ابتغاء التواضع
فيها لله فهو الذي يتعظ بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون

باب في ما يكفر الصغا[ئر]

راموز الصفحة الأولى من المخطوط


والناس والضراء من الله حتى اذا فعلوا ما يوعظون به كان لهم به الخير
والثبات والتمكين به في الارض رضي الله روى انه صلى الله عليه وسلم قال بشر
هذه الامة بالسنا والدين والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل
منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب رواه احمد
والاحبان والحاكم اللهم نور منا البصيرة والبصر واجعلنا ممن
ابصر فاعتبر وممن سمع واطاع واصطبر حتى نال منك
الفوز يوم الظمأ الاكبر انك الرب الرؤوف الرحيم الودود الابر
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الهم و
اصحابهم اجمعين والحمد لله رب العالمين اعلم ايها الناظر في
هذه النسخة باني بوبتها على ترتيب الماتن وهو
الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وشرحت على متنها ما
يشرح صدر كما تعلقت همته بطلب المعالي
حتى ترحم علي وعلى من بوب متنها وكل
اسريرة كل نال الله وان الله يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وانا
... ابا عمر الداعي الى الله المنيب
... الله لمن اصر على
... هي الله ليتوب
... الله ...
...

رامور الصفحة الأخيرة من المخطوط

النص المحقق

كتاب شرح متن الكبائر على الأمور الأربعة[١]

التي هي طريقة الإسلام فالشرح، لعقيل بن عمر والمتن للشيخ محمد بن عبد الوهاب عفى الله عنهما، ورحمَ الله مَنْ ترحّم عليهما، واقتدى بهدي صوابهما، والتمس لخطأهما عذراً؛ فإنّ مَنْ اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد[٢] والله أعلم بالمصيب وبالمخطئ، والوعد يوم القيامة، والموطن الجنة أو النار، قال تعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

كان صلى الله عليه وسلم يعلّم صحبه بقوله: «لا يقل أحدكم اللهمَّ لقني[٣] حُجّتي ، فإنّ الكافرَ يلقن حجته ولكن ليقل: اللهمَّ لقني حجة الإيمان عند الممات»[٤] رواه الطبراني/ . (٩٠/أ)

---

(١) في الأصل «الأربعة الأمور» وهي كذلك في جميع الكتاب وغيرتها لعدم صوابها لغة.

(٢) البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (١٧١٦).

(٣) في الأصل (لقن).

(٤) رواه الطبراني في «معجمه الأوسط» (١٨٨٦)، وسنده ضعيف، فيه السكن بن أبي كريمة لم أجد مَنْ ترجم له.

وفي السند كذلك ابن لهيعة ولكنه من رواياته عن عبد الله بن وهب وهي صحيحة على الراجح.

ملاحظة: تحرف في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٥) السكن بن أبي كرعة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ١، ٢] أي كائناً عذابه في الآخرة على قدر الإصرار على الكبائر التي توجب غضب الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ٢، ٣] أي كائناً إحسانه في الآخرة على قدر اجتناب الكبائر، وامتثال الأوامر التي توجب رضى الله، فليختر الإنسان ما أحبَّ منهما فإنّه يوسم به يوم الله، قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «أهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرة، وأهلُ المنكر في الدنيا همْ أهلُ المنكرِ في الآخرة»(١).

---

(١) هذا الحديث ورد عن أكثر عن عشرة من الصحابة إضافة إلى روايات مرسلة عن التابعين فقد رواه:

* عن قبيصة عند البخاري في «الأدب المفرد» (٢٢١) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٧٥/ (١٩٦٠).
* أبو هريرة عند الطبراني في الأوسط (٤٩٣١)،وفي الصغير(٧٤٣)،وأبو نعيم في الحلية(٩/ ٣١٩).
* سلمان الفارسي عند الطبراني في الكبير (٦١١٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٣٧)، والبيهقي في الشعب (١١١٨١).
* ابن عباس عند الطبراني في الكبير (١١٤٦٠)، والدارقطني في العلل (٨٤١).
* ابن عمر عند ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (١١٦)، وابن عدي في الكامل(٥/ ٣٦٤) وهو عند البزار.
* أبو موسى عند الأشعري، الطبراني في الصغير (١٩٩).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] محكمة الله جارية في الفريقين في الدنيا والآخرة ولا تبديل لحكمة الله، لكنْ ما يتذكّر حكمته إلا مَنْ تدبّر آيات الوعد والوعيد حتى وجل قلبه وخشع لعظمة الله، قال تعالى: مقدمة كتاب الكبائر
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] فمن لا يتذكره لا يكون إلا ساعياً بالفساد في الأرض ابتغاء العلو فيها على خلق الله، ومَنْ تذكرّ كان من أولي اللبِّ، ساعياً بالصلاح في الأرض ابتغاء التواضع فيها لله، فهو الذي يتّعظ بقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ / نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. (٩٠/ب)

فلا يكون أكبر هَمّهُ إلا معرفة الكبائر من الكتاب والسُنّة، ليكون متجنبها حتى تكفّر عنه صغائر ما ارتكبه مِنْ معاصي الله، فلا يصر على صغيرة، لعلمه

---

* أم سلمة عند الطبراني في الأوسط (٦٠٨٦).
* علي بن أبي طالب عند الخطيب في تاريخه (٢/ ٢٤٤)، (١١/ ٤٢٦) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٣٦).
* أبو الدرداء عند الخطيب في تاريخه (١٠/ ٤٢٠)، وابن الجوزي في العلل (٨٤٠).
* وروي مرسلاً عن سعيد بن المسيب كما عند ابن أبي الدنيا «قضاء الحوائج» (١٧)، والبيهقي في الشعب (٩٠٥٤)، وأبو عثمان النهدي في «قضاء الحوائج» (١٦).
* وروي عن أبي عثمان النهدي عن عمر كما في علل الدراقطني (٢/ ٢٤٤).

والحديث أكثر طرقه ضعيف وبعضها ضعيف جداً وبعضها يسير الضعف وبعضها حسن لذا فالحديث صحح لغيره.

بـأنَّ الإصـرار علـيها يصيّرها كبيرة توجب عليه غضب الله، فلا معرفة في الفرق بين الكبائر والصغائر إلا لمن تحقق بتقوى الله.

قال تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

فمتى فرّق بينهما تجنب الكبائر ، ولم يصر على الصغائر، وكُفّرت له بالتوبة النصوح في الله ، فلا سبيل لذلك إلا بأربعة أمور تكون أكبر هَمّهُ في الله :

فِكرٌ ، وبغضٌ، وحيرةٌ، ومراقبة لله.

فالفكـر يكـون في تذكّـر يـوم الوعـيد في كل كبيرة حتى تتجنُبْ لله، فإذا لم تهوى النفس تَجنُبها تبغض بأشد بغض في الله، فإذا لم تترك بالبغض لها فيه لعلل قامت بها، تكون الحيرة التي تتعلق برفع الهّمة إلى الله، فتقوى بها المراقبة في طلب الهدايـة مِـنَ الله ، فإنّـه قـال: **«يـا عـبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهـدكم»**[1] وبغير ذلك لا يدرك أحد سبيل معرفة الفرق بين الكبائر والصغائر، ويمـوت وهـو مُـصِر علـى كبائـر لا يـشعر بهـا إلا يوم يلقى الله، فإذا سُئل عنها وقـال: إنّـي جهلت وما استطعت تعلّم عِلَمَ الله فلا يُعذر على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : **«قلبٌ ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعلّموا وعلّموا وتفقّهـوا ولا تموتـوا جُهّالاً، فإنّ الله لا يعذر على الجهل»**[2] فعلى قَدِرْ ما يمتثل لقـوله نبـيه الـذي مـا ينطق عن الهوى يكون الفرق له بينَ الحقِّ والباطل، فيصير

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) عـزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٨٥٣٧) لابن السني، وكذا صاحب «كنز العمال» (٢٨٧٥٠)، وهـو عـند الديلمـي في «مـسند الفـردوس» (٤٥٩٠) وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٠١٧).

متفقهاً ما ينفعه ويضره يوم الله، فإنه يوم لا ريب فيه ، ولا بد مِنْ إنجاز الوعد والوعيد فيه مِنَ الله.

قال تعالى: / ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] وهي الصغائر التي تُكفَّر بتجنب الكبائر خوفاً مِنْ مقام الله، فمتى الإنسان خاف يوم الوعيد تجنّب الكبائر التي علم كثرة وعيدها مِنَ الله. (٩١/أ)

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب)[(١)].

وللبخاري ومسلم عنه قال: (هي إلى سبعمائة أقرب منهما إلى سبعٍ غير أنها لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار)[(٢)].

---

(١) هذا الأثر عن ابن عباس رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥٢)،وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٤/ ٥٢١٥)، والبيهقي في الشعب (٢٩٠). ولفظ ابن أبي حاتم: (كل ما وعد الله عليه النار كبيرة).

ويروى مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري بلفظ «الكبائر كل ذنب أدخل صاحبه النار» رواه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» (٦٦) وفي سنده ابن لهيعة لكنه من رواية عبد الله بن وهب عنه وهي صحيحة لكنه منقطع بين عطاء الخراساني وأبي سعيد؛ لأن عطاء لم يدرك أحداً من الصحابة.

(٢) هذا الأثر عن ابن عباس رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١)، وابن المنذر في تفسيره (١٦٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٤ (٥٢١٧) ويروى عن ابن عباس مرفوعاً بسند منكر، رواه القضاعي في مسند الشهاب (٨٥٣) والديلمي في مسند الفردوس (٧٩٩٤)، وعزاه صاحب «كنز العمال» للعسكري في «الأمثال» ولأبي الشيخ والديلمي.

وفي سند الحديث أبو شيبة الخراساني، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٣٨١) (أتى بخبر منكر)، وانظر «السلسلة الضعيفة» للشيخ ناصر رحمه الله (٨٤١٠).

ولعبد الرزاق قال: (هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع)(١).

فلا يتأتى لأحدٍ معرفة ذلك لا بالتفقّه في طلب علم الله ولا يمكن تفقهها إلا باجتناب أكبر الكبائر؛ الذي هو الشرك بالله : قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] أي جميع الكبائر غير الشرك الأكبر مُوقّف مغفرتها على مشيئة الله ، أما الشرك الأكبر فلا مغفرة لصاحبه، وهو مخلّد به في نار الله، فما دام صاحبه عاكفاً عليه فلا يتفقّه ما يضره من الكبائر التي يزداد بها عذاباً في النار على قدر ما غلا في شركه وأفترى فيه كذباً على الله، فمتى تجنبه تفقه ما بعده مِنْ أكبر الكبائر وهو :

عقوق الوالدين ،والكذب، وشهادة الكذب؛ لأنهما من الافتراء على الله.

روى البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال : «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس فقال: «**وقول الزور وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى/ قلنا ليته سكت(٢)، فما جلس صلى الله عليه وسلم عند قوله (٩١/ب)

أكبر الكبائر

---

(١) عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٥)، وفي المصنف (١٩٧٠٢)، وابن جرير في تفسيره (٦/ ٦٥١)، وابن المنذر في تفسيره (١٦٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٤ (٥٢١٦)، والبيهقي في الشعب (٢٩٤)، وعزاه في «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٨) لعبد بن حميد إضافة للمذكور.

(٢) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٩/ ١٥٩): (قوله «وكان متكئاً فجلس «هذا يشعر باهتمامه ﷺ بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئاً ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظيم قبحه وسبب الاهتمام بشهادة الزور، كونها أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر؛ فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام به وليس ذلك لعظمه بالنسبة إلى ما ذكر معه من الإشراك قطعاً، بل لكونه مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف الإشراك فإن مفسدته مقصورة عليه غالباً) ا.هـ.

المذكور إلا ليعرفهم كبير ذنبهما[١] ، والوعيد فيهما مِنَ الله، فمن راقب الله فيهما حتى تجنبهما صلح له حاله كُلّه ونجي مِنْ كل هوى، وكان قريباً مِنَ الله، ومن لم يتجنبهما فَسَدَ له حاله كُلّه، ووقع به كلّ هول وكان بعيداً من الله، وعلامة الصلاح تجنبهما، وعلامة الفساد اقترافهما،ولو أظهر صاحبهما صلاحاً في عبادة الله، فإنّ العمدة عند الله ما انطوى في القلب من تجنبها أو اقترافهما فيوسم به يوم الله.

كبائر القلب

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٢] فُعِلمَ مِنَ الحديث أنّ مَنْ كان قلبه صالحاً بتجنبهما نظر الله إليه بنظرة الرضى، وجعله مِنْ أهل جَنّة الله، ومن كان قلبه فاسداً باقترافهما لم ينظر الله إليه بنظرة الرضى، وجعله وقود نار[٣] الله، فإنّ القلب لا يصلح إلا بتجنبهما، ويكون فساده باقترافهما على قدر ما يسعى بهما صاحبه في أرض الله ، فيكتسب بهما المال الحرام ، يزداد به فساد قلبه حتى لا يراقب به إلا خَلْقَ الله، أما مجتنبهما فلا يكتسب إلا حلالاً فيزداد به صلاح قلبه حتى لا يراقب في كلِّ حالة إلا الله.

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرء لدينه**

---

(١) أي (قول الزور وشهادة الزور).

قالو الشوكاني في «نيل الأوطار» (٩/ ١٥٩) (وقول الزور أعم من شهادة الزور؛ لأنه يشمل كل زور من شهادة أو غيبة أو بهت أو كذب).

(٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٣) في المخطوط (النار الله) وهذا خطأ.

وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يـواقعه، ألا وإنّ لكـل ملك حمى، ألا وإنّ حمى الله / في الأرض محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١]. رواه البخاري ومسلم والأربعة. (١/٩٢)

فعلم من الحديث أن القلب يصلح باكتساب الحلال الموجب للتواضع والتخشع لله، ويفسد باكتساب الحرام، الموجب للاختيال والافتخار والتكبّر على أحكام الله[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] فمتى استولى الاختيال والافتخار والتكبّر على أحد، سكن في القلب الكفر بالله، فلا يعرف كفره بالثلاثة المذكورة[٣] إلا يوم يلقى الله، فإذا عرف به أنكره كما كان ينكره في الدنيا فيلقى السَلَم مع الذين قيل فيهم فألقوا السَلَم ما كنا نعمل من سوء- [النحل: ٢٨] فيقال لهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الكبـر

[النحل: ٢٨-٢٩].

روى مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر، فقال رجل : إنّ الرجل يحب أن يكـون ثوبه حسناً ونعله حسناً، فقال: إنّ الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بطرُ الحق

---

(١) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي(٧/ ٢٤١)، وابن ماجة (٣٩٨٤).

(٢) هـذا المعنى والاستنتاج في أن الحلال يُصلِح القلب وأن مناسبة ذكر العلاقة بين (المضغة) و (الحلال والحرام) لم أجده لغير المؤلف وهذه من نوادر هذا الشرح.

(٣) يقصد بالثلاثة (الاختيال، الافتخار، التكبر).

وغمطُ الناس»[١]، فما يفرّق بين بطَرَ الحق واحتقار المتمسك به وبين إظهار نعمة الجمال إلا المتواضع لأحكام الله، أما المتكبر عليهما فيدّعي الدعاوي الحقيّة وهو كاذب فيها، ولا يُرى إلا ساع بالفساد في أرض الله.

روى البخاري أنّه صلى الله عليه وسلم قال : **«ألا أخبركم بأهل النار كل عُتلٍ جوّاظٍ مُستكبرٍ»**[٢] وهو المتكبر على حكم الحقِّ إذا دُعي إليه لجفائه إياه، إيثاراً لبطنه وفرجه، ومراقبة لخلق الله، فعلى قدر جبروته بالباطل يكون بطره ورده الحق به على مَنْ دعاه إليه في الله، فيظل في تحايل بمكره السيء على المتمسك بالحق واحتقار مَنْ أعانه عليه، حتى يوّد أن لا يأتيه خير ولا نصرة مِنَ الله، فهذا وصف المتكبرين على أحكام الحق، العاتين على الله، فلا يزال هذا دأبهم حتى يكونوا به في أسفل درك نار الله.

ولا يزال المتواضعون/ لأحكام الحق في صبر عليهم إلى أن يفرّج الله عليهم (٩٢/ب) بالنصر والفتح، ويجعلهم في أعلى جنة الله.

روى أحمد وصححه وابن حبان[٣] أنّه صلى الله عليه وسلم قال:**«مَنْ تواضعَ لله درجةً رفعهُ الله درجةً حتى يجعله في أعلى عليينَ، ومَنْ تكبّر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفلِ سافلين»**[٤] فمن لا يحذر من التكبّر

---

(١) مسلم (٩١).

(٢) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) في المخطوط (أحمد في صحيحه وابن حبان) وهذا خطأ والتصحيح من الكبائر.

(٤) الحديث رواه ابن ماجة (٥٦٧٨)، وأحمد (٣/ ٧٦)، وابن حبان (٥٦٧٨)، وأبو يعلى (١١٠٩)، وعزاه بعضهم للحاكم ولم أجده في المستدرك بهذا اللفظ.

بأشد التحذير أرتكب به كبائر كثيرة ، لا يعلم بها إلا يوم يلقى الله ، فكم مِنْ إنسان يظن أنّه ليس متكبر وهو متكبر على مَنْ هو أفقر منه؟ أو وارث حالة منه أو صنعة، وقد يكون المحتقر مِنْ أولياء الله.

روى الطبراني أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إياكم والكبر فإنّ الكبرَ يكون في الرجل وعليه العباءة»**[١] فهذا الشأن مشاهد، فمن يرى عزه بثوبه كما قال صلى الله عليه وسلم **«يتقى أحدكم على ثوبه ما لا يتقى على دينه»**[٢].

وقال فيه: **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة»**[٣] فما كان عبداً لما ذكر إلا بتكبره على أحكام الله، أما المتواضع لأحكام الله فيرى أنّه أمقت أهل زمانه مجاهدة في الله فيعد ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ -٦٠].

= والحديث ضعيف ضعّفه البوصيري وغيره، ومن المعاصرين العلامة الألباني رحمه الله والشيخ شعيب الأرناؤوط، وحسنه الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (٨٧)، وسبب الاختلاف سند الحديث حيث أن مدار الرواية على دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري.
ودراج أبو السمح عن أبي الهيثم صححه الحاكم وابن حبان تبعاً ليحيى بن معين.
أما بقية المحدثين كالإمام أحمد وأبي داود وأكثر المحدثين أن هذا سند ضعيف لا يثبت. والغريب أن الحافظ ابن حجر يضعف هذا السند وهو هنا يحسنه، والله أعلم.

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط (٥٤٣) وقال الهيثمي: (رجاله ثقات)،ومثله المنذري في الترغيب (٤٣٩٩)، وكذا ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٩١)، وهذا غير صحيح فإن الحديث ضعيف جداً.

(٢) ذكر صاحب «كنز العمال» (٢٩٠٨٨) وعزاه للحاكم في تاريخه عن ابن عباس ولفظه: «سيكون في آخر أمتي أقوام يزخرفون مساجدهم، ويخربون قلوبهم، يتقيء أحدكم على ثوبه مالا يتقى على دينه، لا يبالي أحدهم إذا سلمت له دنياه ما كان من أمر الدنيا» ومثل هذا الروايات لا تصح.

(٣) البخاري (٢٧٣٠).

فـيظل خائفـاً مـن / صـالح عمله أنْ يدخل عليه العجب فيه فيحبط عمله (٩٣/أ)
الله، فقـد روي أنّـه صلى الله عليه وسلم قال:«**عُجْب ساعة يحبط عمل ستين أو سبعين سنة**»(١).

وعـن ابـن مـسعود أنّـه قال:«**الهلاك في اثنتين القنوطُ والعجبُ**»(٢) فمن لا يحـذر مـن مداخلـة عملـه العجـب كـان في غرور يؤدّ به إلى الأمن من مكرِ الله، فـيكون بمنـزلة المـصر علـى الكبائر حتى يقنط بها مِنْ رحمة الله، فإذا قيل له: إتق الله! قال: ما عندي طاعة أدخل بها جنة الله.

أو دعوني أكون في صدر جهنم.

أو لو أعلم فيَّ شعرة تدخل الجنة لأحرقتها بالنار.

أو أشـباه هـذه المقـالات الموجـبة الكفـر بالله، فمن أخفى شيئاً في قلبه من ذلـك ولو لم ينطق به لسانه، فهو كافر عند الله، فلا يتوب مِنْ كبيرة ارتكبها حتى يتراكـم على قلبه الران، على قَدْر ما قنطَ مِنْ دخوله جنة الله، أما الراجي دخول الجـنة يخـاف مِنْ أدنى ذنوبه أن يقطعه عنها، فيحدث في كل ساعة التوبة إلى الله، ثـمّ أنّه يخاف مِنْ صالح عمله أن يحبط بالعجب، حتى يحب أن يذم فيه ولا يمدح بـه مـن أحـد إلا الله، فـإذا سمعـه مـن أخ له خاف أن يكون فيه قطع عنقه عن المسارعة إلى طاعة الله.

---

(١) ذكـره الديلمـي في مـسند الفـردوس كمـا في «كنز العمال» (٧٦٦٩) عن الحسن بن علي بلفظ «إن العجـب ليحـبط عمل سبعين سنة» وذكره الشيخ ناصر رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٢٥٦٧). وحكم بوضعه.

(٢) هـذا الأثـر ذكـره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٦٩) عن ابن مسعود وقريباً منه عن سفيان بن عيينة في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٧/ ٢٩٨).

العجب روي عن أبي بكرة أنَّ رجلاً ذُكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ويحك قطعت عنق صاحبك»** يقولها مراراً **«إنْ كان أحدَكمْ مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسُبُه كذا وكذا، إن كان يرى أنّه كذلك وحسيبهُ الله، ولا يزكي على الله أحداً»**[1] رواه البخاري ومسلم .

فحبّ المدح مِنْ الناس في العمل الذي يقصد به وجه الله يحبطه، ويبعد من الله فيعد من الكبائر التي لا يحط لها بالاً؛ كحب الدنيا الذي هو من أكبر الكبائر السائق إلى نار الله, فأغلب ما يوجب حبّ المدح في قلب مَنْ يعلم العلم ولا يجاهد به نفسه في الله.

روى أحمد بسند جيد عن الحارث بن معاوية أنّه قال لعمر: إنّهم [كانوا] يراودونني على القصص فقال : (أخشى/ أن تقص فترتفع عليهم في نفسِكَ، ثم تقصَّ فترتفعَ حتى يخيّل لك أنك فوقهم في منزلة الثُّريّا، فيضعكَ الله يوم القيامة تحت أقدامهِمْ يوم القيامة بقدر ذلك)[2]. (٩٣/ب)

(١) البخاري (٦٠٦١)، وفي مسلم (٣٠٠٠) نحوه.
(٢) الأثر رواه الإمام أحمد (١/ ١٨)، ومن طريقه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١/ ٢٠٤-٢٠٥) ومن طريق أحمد ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١١/ ٤٨١) والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٣٥) مختصراً والحديث إسناده محتمل للتحسين فرجاله ثقات إلا الحارث بن معاوية الكندي، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (١٦٢)، (والذي يظهر أنه من المخضرمين) وعدّهُ بعضهم في الصحابة، وثقة العجلي في ثقاته (١/ ٢٧٨).
ورواه كذلك البزار (٣٦٣٣ - كشف الأستار) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٥٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٠٥)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧٢٥٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٧) عن أنس، والحديث حسّنه المنذري في الترغيب والهيثمي

أما المجاهد نفسه بالعلم فلا يؤمّنْ مِنَ العجب بعلمه ومدحه مَنْ يتلق عنه علم الله.

الرياء والسمعة

روى البيهقي أنّه صلى الله عليه وسلم قال:« لو لم تذنبوا لخفِتُ عليكم ما هو أشدُّ مِنْ ذلكَ العُجْبَ» فيظل مجاهداً عجبه بالأمور الأربعة[1] التي هي

= في المجمع (١٠/ ٤٧٥). قلت: وهذا غير صحيح ففي الحديث سلام بن أبي الصهباء ضعيف الحديث.

وروى عن أبي سعيد الخدري من طريق يحيى بن كثير أبو النضر البصري عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً كما في الكامل (٧/ ٢٤٠)، وذكر الألباني في الصحيحة (٦٥٨)، من طريق آمالي أبي الحسن القزويني ولذلك حسنه الشيخ.

قلت: وهذا سند ضعيف، إن لم يكن ضعيف جداً فيحيى بن كثير قال فيه أبو حاتم ضعيف الحديث ذاهب الحديث جداً، وقال العقيلي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يجوز الاحتجاج به فيما انفرد، وقال الساجي: معروف في التشيع ضعيف الحديث جداً متروك الحديث.

بينما حكم ابن معين وأبو زرعة والدارقطني وابن حجر بالضعف فقط، وحكم عليه النسائي: بأنه ليس بثقة.

والحقيقة إن الدارقطني حكم عليه بأنه متروك كما نقل ابن القيم وكذا الذهبي.

وهذه الرواية لم يتابع عليها يحيى هذا وأكثر رواياته التي اطلعت عليها فيها ضعف فمثله لا يتابع على حديثه.

وهذا السند حكم عليه العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٤٨) بأنه ضعيف جداً.

ومعنى الحديث أعجب الذهبي فنقل كلمة البخاري في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٥٨) فقال: (ما أحسنه من حديث لو صح) كما أن العقيلي قال بعد أن ذكر رواية أنس وضعفها، وقد روي بغير هذا الإسناد بإسناد صالح، قلت: وليس هذه الرواية هي المعنية للعقيلي فقد ترجم ليحيى بن كثير وحكم عليه بأنه منكر الحديث. ورواية سلام بن أبي الصهباء أقوى من هذه.

لذا فالحديث ضعيف عندي من طريق أنس وأبي سعيد، لذا قال العراقي: طرقه كلها ضعيفة.

ونحن وجدنا طريقين وكلاهما ضعيف.

(١) الأربعة هي: فكر، بغض، حيرة، مراقبة لله.

الطريق إلى الله، وبغيرها لا يدرك أحد الطريقة التي ستقام بها في الله، فلا يلازمها إلا الـذي يخاف مـن الـنار ويـرجوا جنة الله قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠] أما الـذي لم يـصحح رجائه بالأمور الأربعة لا يكون إلا مسمّعاً مرائياً بعلمه وعمله خلـق الله، فلا يصفو له عمل من الشرك الأصغر لجهله بالأمور الأربعة التي هي الجهاد الأكبر في الله[١].

روى الـبخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال : «**مَنْ سمّع سمّعَ الله به ، ومَنْ يرائي يرائي الله به**»[٢] فعلى قدر ما يكون ذلك منه يكون عذابه بالنار، الـذي يـصير بـه يـوم الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**فضوح الدنيا، هين، والـشديد فـضوح الآخـرة**»[٣] فإنه إذا نودي عليه على رؤوس الأشهاد بأنّه كان مسمّعاً مرائياً يخجل خجلاً أشد مِنْ خجل الدنيا بشهرة ما فضح به مما يذمّه خلق الله، كالزنى واللواط وشرب الخمر والسرقة والخيانة في المال ودس الغش ونحوه، مِنْ كل ما يمقت لدى الناس ولدى الله ، فأعظم فضوح يجده الإنسان في المواقف الكـثيرة الأهوال، الشديدة العذاب الفضوح في السمعة والرياء، وأنّ لم يشهر بها

---

(١) لأن الشارح يرى أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر.

(٢) البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (٢٩٨٧).

(٣) هـذا جـزء مـن حديث طويل رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٨٠ (٧١٨) وفي «الأحاديث الطوال» (٣٨)، والطـبري في التاريخ (٢/ ٢٢٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٨٣)، والقضاعي في «مسند الـشهاب» (٢٤٦)، وابـن عـساكر في «تـاريخ دمـشق» (٤٨/ ٣٢٣-٣٢٤). ولفظه: «فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة».

والحديث حكم عليه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» بالنكارة.

وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٣١): (وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة).

وقال الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي: ضعيف جداً.

صاحبهما في الدنيا، وقد أعتقد أنّه مِنْ أولياء الله، فإنّ الله يشهره بما كمن في سريرته ولا تنفعه شهادة أهل زمانه بأنه صادق مخلص / لله. (٩٤/أ)

نعم إذا وافقت شهادتهم شهادة الله فيهما، ازداد بشهادتهم قرباً لدى الله.

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى**»[(١)] فمنْ اطّلع الله على سريرته أنّه مخلص له في علمه وعمله جعله في جنةٍ منعماً بنعماء الله، ومَنْ اطلع على سريرته أنّه مسمّع مراء جعله في ناره معذَّباً بأنواع عذاب الله.

روى مسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أوّلَ الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل أستشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: فما عملت فيها؟ فقال: قاتلت فيك حتى استشهدت: قال : كذبت ولكنك قاتلت لأنْ يقال: جرئ فقد قيل، ثم أمرَ فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به معرفة نعمة فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته وقرأت القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: قارئ ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه مِنْ أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيهما؟ قال: ما تركت مِنْ سبيل تحب أنْ ينفق فيه إلا أنفقت لك فيه، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[(٢)].

---

(١) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) مسلم (١٩٠٥).

وللترمذي وحسّنه أنّ معاوية لمّا سمعه بكى ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[هود: ١٦] الآية[1] لما ذكر في الحديث هو صفة المرائي بعلمه وعمله لحبّه الدنيا الحقيرة القدر عند الله فلو أنّه تعاظم الآخرة وبقاء نعيمها لما آثر الدنيا عليهما تغلّبت عليه مراقبة خلق الله فلا يقاتل في سبيل الله إلا ليمدح منهم، ولا يعلمهم العلم إلا ليعلو قدره فيهم، ولا يتصدّق عليهم بماله إلا ليستكثر مِنْ مَدحهم ، فاستحق بذلك نار الله، فإنّ الله قد قرن الرياء بالكفر بقوله: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي مطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي خالياً من التراب ، فكذلك المرائي يجعل الله/ عمله خالياً مِنْ الثواب، وجاعل له فيه العذاب، إلا أنّ يتوب إلى الله مَنْ يدرك التوبة منه إلا بصنع الأمور الأربعة، حتى يتقطع قلبه منها حزناً ومجاهدة في الله، فلا يكون في أهله مسروراً ، كالكافر الذي ما آمن بالله فإن الذي يؤمن بالله فلا بدّ أنْ يؤمن بوعده ووعيده في اليوم الآخر ، المختبر فيه كل إمرء بما كسب مِنْ خير وشر ، فأيهما غَلَبْ فالحكم له مِنْ الله، فمنْ باشر الإيمان قلبه بذلك كان من الذين يقولون: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور:٢٦] فلا يصبح إلا حزيناً ولا يمسي إلا مهموماً طالباً النجاة مِنْ هول يوم

(٩٤/ب)

---

(١) الترمذي (٢٣٨٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، وابن المبارك في «الزهد» (٤٦٩)، والطبري في تفسيره (١٢/ ١٣)، والبيهقي في الشعب (٦٨٠٧)، وابن عساكر في تاريخ (٤٧/ ٢١٧ والحديث صحيح.

الله، فيشتد عليه بذلك الخوف من ذنوبه فيكون بذلك نجاته ولا يكون كالذين[١] نسوا ما ذكروا به مِنْ آيات الله، قال تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ [الأنعام:٤٤]. الفرح

أي مِنَ الخيانة في الأموال ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[الأنعام: ٤٤] وروي أنّه صلى الـه عليه وسلم قال: «**إذا أراد الله بقوم نماء أو بقاء رزقهم السماحة والعفاف، وإذا أراد بهم انقطاع فتح الله عليهم باب خيانة حتى إذا فرحوا بها أوتوا أخذناهم بغتة**»[٢] فلا يفرح بكثرة الأموال مِنْ الخيانة في الأمانة إلا المتكبرون على أحكام الله، قال تعالى فيمن تكبّر على حكمه وطغى به في أرضه حاكياً عمّن وعظه ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص: ٧٦] أي بباطل ما جمعوه مِنَ الخيانة في مال الله، وقد جاء في الآثار وقول العلماء الأخيار النهي عن الفرح أشد النهي، لكن إذا أصاب العبد خيراً فيحمد الله ويثنى عليه، ويكثر من الذكر والصلاة والتطوع والخشوع لله، ويعتقد أنّ ما أصابه بأمر الله فإنّ قيد النعمة الشكر عليها، وقد ورد بنص الكتاب العزيز والسُنّة الشكر قيد النعمة وموجب للمزيد مِنَ الله ولا يكون ما ذكر إلا من تحقق باليقين في قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢١٦] لتسليمه الكلّي لقضاء الله ولا يأتي ذلك إلا بالمجاهدة على الأمور الأربعة حتى لا يكون همه في دعائه أنْ لا يحزن / على (١/٩٥)

---

(١) في الأصل كلمات لم أستطع ربطها بما قبلها وبعدها فقدرت هذه العبارة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٩٠/ (٧٢٨٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩)، وابن عساكر في تاريخه (٤٠/ ١٦٥). والحديث ضعيف بسبب عراك بن خالد،قال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات ربما أغرب وخالف، وقال ابن حجر في اللسان (٧/ ٣٠٤): ليس بالقوي.

شـيء فاتـه مِنَ الدنيا ولا يهتم به قناعة برزق ما كتب له من الله، كان صلى الله علـيه وسـلم يقـول: في دعائـه : **«اللهمَّ إنّي أعوذ بك مِنْ الهَّم والحزن»** رواه أبو داود[1]، وقال بعضهم في معنى الحديث: الهم والغم والحزن، أي مِنْ أجل الدنيا، مناقـضة للإيمـان بالقـضاء والقدر؛ لأنّ القلم جرى بما هو كائن منذ خلق الله إلى يـوم القـيامة، فليعـتقد المـؤمن أنّ مـا كتبه الله عليه يصيبه ، وما لم يكتب عليه لم يصبه، ومَنْ يعتقد ذلك ويتيقنه يقيناً قاطعاً كان من أهل النار[2].

كمـا صـححه الحـاكم عـن ابـن مـسعود عـن الـنبي صـلى الله عليه وسلم الحـديث بقـوله: **«ومن ابتلي بكرب أو هم أو غم أو حزن فليقل: لا إله إلا الله العظـيم الحلـيم لا إلـه إلا الله ربّ العرش العظيم لا إله إلا الله ربّ السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»** رواه البخاري ومسلم[3].

أمـا مـن لم تكـن لـه مجاهـدة بالأمور الأربعة فلا يكون له تحقق بما ذكر ولا يقـين لـه بـه، وما همه إلا دنياه فرحاً بما أوتي منها، وحزناً على فقدها ولا عنده تـسليم فـيها لقـضاء الله، فـيظل متسخطاً من أجل فقدها على قضاء الله وقدره، ويئـساً مِـنْ رَوح الله، فيعـصي الله مـا استطاع على جلب الدنيا بحرام أو حلال،

---

(١) البخاري (٦٣٦٣)، وابو داود (١٥٤١).

(٢) ذكر المناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٨٧) (الإيمان بالقَدَر) بفتحتين (يذهب الهم والحزن) لأن العبد إذا علـم أن مـا قدره الله في الأزل لا بدّ من وقوعه، وما لم يقدره يستحيل وقوعه استراحت نفسه، وذهـب حزنه على ما وقع له من المكروه الماضي ولم يهتم لما يتوقعه وأذى الناس للعبد لا بدّ له من كالحر لا حيلة فيه فالمتسخط من أذاهما غير عاقل والكل جار بقدر ومن ثم قال ذو النون: من وثق بالمقاديـر لم يغـتم، ومـن عـرف الله رضـي بالله، وسر بقضائه، وقال بعضهم: الإتكال على القضاء أروح وقلّة الاسترسال أحزم) ا.هـ.

(٣) البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

آمناً مَكرَ الله، فيجمع بذلك إياساً وأمناً مكتسبا بهما آثاماً كثيرة تجعله حطباً لنار الله، أما المشفق من الإياس والأمن لا يكون أكبر همه إلا الخروج عنهما بما يصيره خائفاً مقام الله، فيرى ذنوبه كجبل يكاد يسقط عليه حتى يرى أنّه آيس مِنْ رَوح اللهِ فيتذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فيترجى بتوبته مِنْ ذنوبه رحمة الله، فإنّ الله يحب الشاكي ويرحم الباكي ويقبل التوبة ممنْ ندِمَ وأقلع وعزمَ أن لا يعود إلى معاصي الله، أما المصر على عصيانه فما هو إلا من الآمنين مكر الله، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأعراف: ٩٩] وهم الذينَ أصرّوا على الكفر والعصيان ولم يبالوا فيه أو فيها بوعيد الله فقد قرن صلى الله عليه وسلم الأمن من مكر الله بالقنوط من رحمة الله والإشراك بالله.

اليأس من روح الله والأمن من مكر الله

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**أكبر الكبائر/ الإشراك بالله والأمن مِنْ مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس مِنَ رَوح الله**»[1] فما كان الإصرار منهم على كفر أو عصيان إلا لعدم يقينهم في قوله (٩٥/ب)

---

(١) هذا الكلام روي مرفوعاً وموقوفاً:

أما مرفوعاً عن ابن عباس فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣١/ ٥٢٠١) والطبراني في «الأوسط» كما في المجمع (١/ ١٠٤)، والبزار (١٠٦- كشف)، والحديث حكم بحسنه العراقي في «تخريج الأحياء»، والعيني في «عمدة القارئ» (٢٢/ ٨٤)، وقال الهيثمي: رجاله موثقون، وحسنه السيوطي في «الدر المنثور» وكذا الألباني في الصحيحة (٢٠٥١).

وضعفه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٥) وقال في إسناده نظر ففيه شبيب بن بشر فيه لين أو صدوق يخطأ، قلت: ومثله لا يحتمل التفرد سيما وأنه لا يروى عنه سوى ابن أبي عاصم وقد سبرت أحاديثه فوجدت أكثرها غير صحيحة ووقفه أصح ورجح الدارقطني في العلل (٥/ ٣٤٢) وقفه وهو الصواب عندي.

تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[البقرة : ٢٦٨] وهي مجمع المناكير ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًا﴾[البقرة: ٢٦٨] أي إن لو تابوا إلى الله فإنّ الله قد وعد التائبين بالمغفرة والفضل وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١] فمن أيقنَ بوعد الله الصادق لم يصر على معصية الله، ومَنْ شك في ذلك وعُدَّ من الذين قال الله فيهم: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران : ١٥٤] لعدم يقينهم في صدق وعدَ الله، إذْ لو صدقوا بوعده لبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، لكنهم تجاهلوا وعده ولم يبالوا بوعيده وتعاموا عمّا قيل في نظائرهم مِنْ مثال الله، فلو [كان] عندهم يقين بإنّ الله مُطّلع على سرائرهم المخفي فيها الكفر، الذي هو النفاق لسارعوا إلى التوبة لله فقد قال الله فيمن لا يراقبه في علمه به: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣] فما كان ذلك منهم إلا لعدم يقينهم في وعده ووعيده فلذلك قال صلى الله عله وسلم: «**تعلّموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفه فإنّي أتعلمه**»(١).

سوء الظن بالله

= ورواه موقوفاً بسند صحيح عن ابن مسعود رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٥)، وفي مصنفه (١٩٧٠١)، والطبري في تفسيره (٥/ ٤١)، والطبراني (٨٧٨٣-٨٧٨٥).

وذكره أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٩٨) عن سفيان ولم أجده في البخاري ومسلم.

(١) رواه مرفوعاً أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٥) مرسلاً من طريق ثور بن يزيد وسنده ضعيف إن لم يكن ضعيف جداً.

وقال : «أفضل ما أتيت هذه الأمة اليقين»[(١)].

وقال: «ما أُعطي عبد أفضل مِنْ حُسن اليقين والعافية فسلوا الله اليقين والعافية» رواه البزار[(٢)]، فمن لا يقين له لا سماحة له بنفسه وماله في سبيل الله، فيظل بخيلاً بهما لسوء ظنّه بربه أنّه لا يجاز به فيهما خيراً وذلك من أكبر الكبائر كالشرك بالله فيعد من الذين قال الله فيهم: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦] فمن لا يزعجه ما ذكر في وعيد الآية واستمر على سوء الظن بالله كان منهم

= وروي موقوفاً على خالد بن معدان كما عند ابن أبي الدنيا في «اليقين» (٧)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٦/ ١٩٨).

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٥٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٢٧)، والبيهقي في الشعب (١٠٨٤٥)، والخطيب في التاريخ (٧/ ١٨٦)، والدقاق في «مجلس في رؤية الله»، (٥٣٦ ، ٩٠٧) عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين».

ورواه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣)، وفي «قصر الأمل» (٢٠)، ومن طريقه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٤/ ٢٥١)، والبيهقي في الشعب (١٠٨٤٤) عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد...»

واللفظ الأول علته محمد بن مسلم الطائفي صدوق يخطئ.

فمن حسنه فبالجمع بين الروايتين.

(٢) بهذا اللفظ رواه البزار (٣٢ ، ٣٤) ولكن الحديث مشهور عن أبي بكر الصديق رواه ابن ماجة (٣٨٤٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٧١٨، ١٠٧٢١، ١٠٧٢٤)، وأحمد (١/ ٣ ,٥ ,٧ ,٨ ,٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، والطيالسي (٥)، والطبراني في الأوسط (٦٧٠٤)، وفي الصغير (١٦٣)، وأبو يعلى (٨ ,٨٦ ,٨٧ ,٩٧ ,١٢١ ,١٢٤ ,١٣٤ ,١٣٥) وابن حبان (٩٥٢)، والمروزي في مسند أبي بكر (٦ ,٤٧ ,٩٥ ,٩٦) والحديث صحيح ثابت.

وحشر معهم يوم الله، أما من عنده ذرة من إيمان بوعيد الله أزعجه ما ذكر في الآية من وعيد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أكبر الكبائر سوء الظن بالله»[1] وقال: «لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[2] فإن قوماً/ (٩٦/أ)
أرداهم سوء ظنهم بالله ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾[3][فصلت: ٢٣].

إرادة العلو والفساد

وقال: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً فله وإن ظن بي شراً فله»[4] فعُلم من معنى الحديث أنَّ مَنْ ظنَّ بالله خيراً بذل نفسه وماله في تعلّم العلم والجهاد به باطناً وظاهراً في سبيل الله ومن ظنّ بالله شراً بخل بنفسه وماله في تعلّم العلم والجهاد به باطناً وظاهراً وعاقبته من الله قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣] فإنَّ العاقبة الحسنى لا تكون إلا لمن بذل نفسه وماله في تعلم العلم والعمل به، حتى أخلص فيه لله ولا يتأتي ذلك إلا بالأمور الأربعة حتى يقبل بكليته إلى الدار الآخرة مجاهدة في الله وإلا يفعل استولى عليه سوء الظن بالله، وعُدَّ من الذين يريدون العلو في الأرض بالفساد القاطع وصلة أمر الله قال تعالى

---

(١) الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس (١٤٦٩)، وعزاه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٥)، لابن مردويه وساق سنده، والحديث متفق على ضعفه فقد ضعفه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤١١)، والعجلوني في «كشف الخفا» (٥٢٥) والشيخ الألباني، بينما قال ابن كثير: حديث غريب جداً.

(٢) إلى هنا إنفرد بإخراجه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) هذه زيادة الإمام أحمد (٣/ ٣٩٠)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٤) والحديث ضعيف، ضعفه أكثر من واحد، وانظر السلسلة الضعيفة (٢١٦٩).

(٤) قوله (أنا عند ظن عبد بي) عند البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وأما بقية الحديث فرواه أحمد (٢/ ٣٩١)، وابن حبان (٦٤١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٨٧/ (٢٠٩)، والأوسط (٧٩٥١)، وفي «مسند الشاميين» (١٤١٤)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٨٤)، وتمام في فوائده (١٨٢)، وابو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٦) والحديث صحيح.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [محمد: ٢١] عما دللتم إليه مِنْ حسن الظن بالله ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾

[محمد: ٢١-٢٣] فهذا دأبُ الأشرار الظانين بالله ظن السوء لعدم يقينهم باليوم الآخر، المنجز فيه وعيد الله، أما دأب الأخيار حسن الظن بالله، فلا يُرون إلا ساعين في الأرض بالصلاح والإصلاح ما استطاعوهما لله، فيحب أحدهم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من خير الدنيا والآخرة وينصره على من يعاديه ولا يخذله وينصحه في الله.

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1] فمن لا يفعل إلا بضد ما ذكر في الحديث فقد ارتكب إثماً كبيراً يسوقه إلى نار الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**من آذى مسلماً فعليه من الذنوب كمنابت النخل**»[2] أو كما قاله رسول الله، فالتخلّق بخلق الأخيار لا يتحصّل لأحدٍ بالمجاهدة إلا الأمور الأربعة حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به نبي الله.

---

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) عزاه في «كنز العمال» (١٠١٧٦)، والعجلوني في «كشف الخفا» (٩٤٤): لابن عساكر والبيهقي في الشعب، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٧٢)، أما عند البيهقي في الشعب فلم أجده، والحديث قال عنه الذهبي: إسناده مظلم، وحكمَ بضعفه: السخاوي والألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦١٦)، وقال المنذري، والعجلوني: الأشبه وقفه.

العداوة والبغضاء

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(١) وهو القرآن الذي أنزله الله فيه ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ /فَرُدُّوهُ (٩٦/ب) إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩] فمَنْ باشر الإيمان قلبه لا يبتغي حكماً سواه ويرضى بمُرهِ كما يرضى بحلوه حباً في الله، ومَنْ لم يباشر الإيمان قلبه يبتغي الحكم مِنْ غيره في مُرّه ويبتغيه منه في حلوه كالمنافقين أعداء الله وهم الذين قيل فيهم: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾[النور:٤٨-٥٠] فمَنْ [كان] هذا وصفهم لا يكونون إلا أعداء السرائر معادين أهل الحق، وكل مَنْ يصحبهم في الله، فيود أحدهم الشر لمن ينصح في دينة ولا يود لهم خيراً ، يصيبونه من الله، فمَنْ كان هذا وصفه عُدّ فيمن قال الله فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[النور : ١٩] ففي الدنيا يصيبه ما تربوا به من الشرّ على الناصحين له في الله، وفي الآخرة يعذّب بعذاب شديد على قدر ما أحبّ الشر لأخيه المؤمن بالله، لأنه خالف ما وجب عليه له من الحب فأن النصح دأب الأخيار الذين يحبّون كل خير ولو ما أطاقوه في الله .

الفحش

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة»(١٥)، والحسن بن سفيان في «الأربعين» (٩)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٨٧)، والخطيب في تاريخه (٤/ ٣٦٩) والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، والسِّلفي في «معجم السفر» (١٢٦٥). والحديث وإن صححه النووي في الأربعين فهو ضعيف بسبب نعيم بن حماد، وعلى هذا أكثر العلماء.

قال تعالى في الضعفاء منهم: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١] فمتى أسفوا على خير فاتهم نالوا ثوابه، وقرِّبوا بأسفهم عليه إلى جنة الله، ويكون بضدهم الأشرار فلا يأسفون إلا على دنيا فاتتهم، فيقربوا بأسفهم عليها إلى نار الله .

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**من أسف على دنيا فاتته أقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومَنْ أسف على آخرة فاتته أقترب من الجنة مسيرة ألف سنة**» رواه الرازي[1]، فوصف الله الأخيار الذين آثروا الآخرة على الدنيا بقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢].

(٩٧/أ) ووصف / الأشرار الذين آثروا الدنيا على الآخرة بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤] أي بالعذاب الكائن لهم في وعيد الله وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٣] فما من أحد رضي بعملهم كان منهم أو مال إليهم بالمحبة كان منهم؛ لأنّه مأمور ببغْضهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**تقربوا**

مودة أعداء الله

---

(١) الحديث في «مشيخة الرازي» (١٠٧) وهو حديث ضعيف جداً كما في «السلسلة الضعيفة»(١٧٧٠) للألباني رحمه الله.

إلى الله ببغض أهل المعاصي والقوهم بوجوه مكفهرة» أي عَبِسة «والتمسوا رضى الله بسخطهم، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم» رواه ابن شاهين[١]، فمن لا يفعل ذلك وأظهر لهم الود لغير ضرورة عُدّ منهم وحشر معهم إلى نار الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «الظلمة وأعوانهم في النار» رواه الديلمي[٢]، فلا خلاص منهم إلا ببغضهم وحب من يبغضهم في الله، فليختر الإنسان ما أحب من الفريقين؛ فإنّه يعدّ منهم ويحشر معهم إلى جنة أو إلى نار كما قال صلى الله عليه وسلم: «المرء يحشر مع من أحب» رواه البخاري ومسلم[٣]، فمن عقَلَ عن الله أمره الذي يكون به رشيداً فلا يصاحَبْ ويحب في صحبته الناصحين له في الله، فإنّه إلا يفعل كان مصاحباً مَنْ لا خيرَ فيه من أعداء دين الله، وهم الذين يعادون مَنْ تأسوا بأسوة أنبياء الله.

قال تعالى محرضاً على التأسي بهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقد أجمع الأئمة رحمهم الله على عداوة أعداء الله، والتصريح بها والكفر بما هُمْ عليه مِنَ الشرك في الأقوال والأفعال الخارجة عن الكتاب والسُنّة حتى يؤمنوا بالله وحده، ويتركوا ما هم عليه مِنْ كفرهم؛ أي كفر جحود أو كفر نعماء، فإذا / فعلوا ذلك ووافقوا الشريعة في كل ما جاءت به (٩٧/ب)

(١) عزى هذا الحديث صاحب «كنز العمال» (٥٥١٨) لابن شاهين في «الأفراد» عن ابن مسعود وكذا العجلوني في «كشف الخفا» (١٠٠٨)، ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (٥٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٥٥)، والبيهقي في الشعب (٩٤٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٥٣ ، ٤٥٤) عن عيسى عليه الصلاة السلام.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤٠٠٠) عن حذيفة، وعزاه العجلوني في«كشف الخفا»(١٦٩٠) للديلمي وضعفه.

(٣) البخاري (٥٨١٦)، ومسلم (٢٦٤٠). بلفظ «المرء مع من أحب» وليس فيه «يحشر».

صاروا عضواً في الإسلام ، وإلا يفعلوا كانوا ساعين في هدم قواعد الإسلام ونقض عراه، كما كان ذلك في الأمم الذين ينقصون عهد الله، فمن أحب الأشرار كان وصفه الأخلاق السيئة موجبة لنقض ميثاق الله، قال تعالى فيهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ١٣] أي يفسرونه على غير قواعده الأصولية التي جاءت بها رسُل الله: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[المائدة: ١٣] أي نصيب الخير مما أوجب عليهم الله، فلا بّد ما ينساهم الله مِنْ رحمته على قدر ما نسوا أحكام الله، ومَنْ أحب الأخيار كان وصفه الأخلاق الحسنة ، التي بعثت بها رسُل الله، كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن فيتخلق بأخلاقه قدر طاقته في الله.

قسوة القلب

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**تجد المؤمن مجتهداً فيما يطيق متلهفاً على ما لا يطيق**» رواه أحمد[1]، فهو الذي إذا سمع آي القرآن تُتلى عليه اقشعر جلده مِنْ آيات الوعيد، ثم يلين جلده وقلبه لذكر آيات بشارة وعد الله.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] فمتى تكامل وصف ما ذكر في رجل أو قوم عدّوا من الخاشعين لله قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فمن أمتثل لأحكام ربه بفعل الأمور الأربعة حتى تكامل بها، أدرك الخشوع لله، ومَنْ أعرض عنها حتى تكامل فيه الشر قسى قلبه وعُدَّ مِنْ الذين

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٣٨٣) عن عبيد بن عمير مرسلاً، وانظر «السلسلة الضعيفة» (٢١١٩)، لكن ذكر ابن الأثير في «أُسد الغابة» أن الحديث روي من طريق آخر موصلاً مرفوعاً عن عقبة، وكذا ذكره ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٣٠).

نهى أن يكون منهم بقول تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[الحديد : ١٦] فإذا تقوّى فيه خلقهم الذميم فلا يرحم إذا استرحم ، ولا يغفر إذا طُلِبَ منه السماح، ولا يقبل عذر من اعتذر إليه في الله ، فيقمع غيره بالمواعظ ولا ينقمع
(١/٩٨) بها، ويعاقب غيره على المعاصي وهو مُصِرّ عليها / ولا يبالي فيها بوعيد الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**» رواه الترمذي[١].

فمن وصفه الشر يكون كثير الكلام بغير ذكر الله، «**فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي**» رواه البخاري ومسلم[٢].

وروي أيضاً أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[٣] فلا مفكَّ مِنْ قساوة القلب ومرضه إلا بالأمور الأربعة حتى يتقطّع بها مجاهدة في الله، فمتى صحّت المجاهدة بها حصل الربط بها على طاعة الله، قال تعالى فيمن رُبِطَ على قلبه بطاعته: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟

---

(١) أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٢٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٣٦ ، ١١٠٥٢).وأشيب البغدادي في جزءه (٥٤)، والخطيب في تاريخه (٨/ ٢٦٦) والحديث حسنه المنذري والعيني في عمدة القاري (١/ ٢٧٧)، وصححه الشيخ ناصر في الصحيحة (٤٨٢).

(٢) الترمذي (٢٤١١)، والبيهقي في الشعب (٤٩٥١) والحديث ضعيف، انظر السلسلة الضعيفة» (٩٢٠) وهو ليس في البخاري وإنما يعني الذي بعده.

(٣) البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣٠٩).

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ [الكهف: ١٤]، فما بالوا بأذية مَنْ يتعرض لهم بسوء توكلاً على الله، فإنّ الله مِنْ عادته أن يسلّط أهل الباطل على أهل الحق بالأذية والبغضاء، فيصبرهم عليهم إلى أن يأتيهم الفرج من الله، فذلك مِنْ فتنة الاختبار في دين الله، فمن صبر وثبت فله الرضى، ومن ضَجَر وسخط فله السَخط مِنَ الله قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣] فسُنّة الله جارية فيمن تأخر ، كما جرت فيمن تقدّم ولا تبديل لحكمة الله، فلا ينتهي الاختبار إلا عند الامتحان فإما نصر به أو خذلان، فمن أمتثل لأمر ربه فيما أمتحن به من ظاهر الدين نُصِرَ به ولو بعد حين، وحسنت له العاقبة فيه مِنَ الله، ومَنْ خالف أمر ربه خذل، إلا أن يدركه الله بتوبة تجعله منكسراً إلى الله، كقوم موسى عليه السلام لمّا خالفوا الأمر بقولهم ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة : ٢٢] وخذلوا بالتيه أربعين سنة تأديباً لهم من الله، / لا يتأدب حين خذلانه بمخالفة ربه كانت له سوء العاقبة من الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت :١٠] فمن لا ثبات له عند الامتحان كان له الخذلان، وإن تسخّط القضاء فيه بغضب من الله , ولا ثبات إلا بالأمور الأربعة التي تزهده في الدنيا وترغبه في الآخرة حباً في الله فمتى تخلق بها سِلَم المسلمون من لسانه وهجر كل كبيرة وصغيرة خوفاً من مقام الله.

ضعف القلب

(٩٨/ب)

روى البخارى ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1] فيعدُّ فيمن

(١) البخاري (١٠)، والشطر الأول منه في المسلم (٤١).

وصفهم الله بقوله : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣]أي متواضعين لأحكام الله﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان :٦٣] أي أماناً من أن يجازوهم بالسيء على ما أساءوا عليهم بل يدافعونهم بالتي هي أحسن الأخلاق عند الله، فلا يسعون في الناس إلا بالصلاح والإصلاح ما استطاعوهما, والله وصفهم بقوله ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص:٥٥] فما صنعوا ذلك إلا ليقينهم بقوله تعالى ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾[ق:١٨] أي يكتبه خيراً كان أو شراً حتى يجعلا في كفتي ميزان الله, فاخبرهم الذي يلزم الصمت, فلا يتكلم إلا لضرورة أو الحاجة أو النصيحة في الله.

روى بخارى ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[(١)].

ورويا أيضاً أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**[(٢)].

وروي عن سفيان بن عبد الله أنّه قال: قلت :يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: **«هذا، كف عليك هذا»**قال الترمذي: حديث حسن صحيح[(٣)]، وله وصححه عن معاذ قلت : يا رسول الله

(١)البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) البخاري (٦١٠٩) وهو من أفراده.

(٣) الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجة (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن أبي الدنيا في «الصمت»(٧) وابن حبان (٥٦٩٩)، والبيهقي في الشعب (٤٩١٦)، والحاكم (٤/ ٣١٣)، والحديث صحيح وليس في الحديث «كف عليك» هذا فهو في الحديث الآتي.

وإنـا لمأخـذون بما/ نتكلم به قال : «ثكلتك أمك يا معاذ !وهل يكب الناس في ٩٩-أ
النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

---

(١) هـذا الحـديث لـه طـرق وألفاظ وبعض رواياته مختصره. والحديث في أسانيده مقال لكن كثرة طرقه تصححه.

فقـد رواه عـبد الـرزاق في تفـسيره (٣/ ١٠٩)، وفي المـصنف (٢٠٣٠٣)، والترمـذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وابن ماجة (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد بن حميد (١١٢)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٣٠)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٢٢٧٥) كلُّهم من طريق معمر عـن عاصـم بـن أبـي الـنجود عن أبي وائل عن معاذ، وسنده جيد لولا أنه منقطع بين أبي وائل و معاذ.

ورواه مـن طـريق آخـر الإمام أحمد (٥/ ٢٣٦)، وفي «الزهد» لابن أبي عاصم (١٨)، والطبراني في الكـبير(٢٠/ ١٠٣ / ٦٤) وفي «مـسند الـشاميين» (٢٩٣٨) مـن طـريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ. وهذا سند ضعيف من أجل شهراً.

وتابعـه أيـوب بـن كريـز عـند الطبرانـي في الكـبير (٢٠/ ٧٣) وفي أيـوب كـلام، ورواه عند أحمد (٥/ ٢٤٨)، من طريق شهر بن معاذ وهذا منقطع بين شهر ومعاذ مع ضعف شهر.

ولـه طـريق آخر رواه حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة، كلاهما عن ميمون بن أبي شبيب عن معـاذ رواه هـناد في «الـزهد» (١٠٩٠)، وابـن أبـي الدنـيا في «الصمت» (٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٤٢، ١٤٣)، وأبـو نعـيم في الحلـية (٤/ ٣٧٧)، والحـاكم (٢/ ٤٤٧)، والبيهقـي في الشعب (٤٩٥٨)، وسنده ضعيف لأن ميمون لم يسمع من معاذ.

ولـه طـريق آخـر رواه شـعبة عـن الحكـم عـن عـروة بـن النـزال عن معاذ رواه أحمد (٥/ ٢٣٧)، والطيالـسي (٥٦٠)، وابـن أبـي شيبة (٢٦٤٩٨)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٨) والحارث بن أبـي أسـامة (١٢ - زوائـده)، والطبرانـي في الكبير (٢٠/ ١٤٧)، والبيهقي في الشعب (٣٨١٣)، وعلته عروة بن النزال لم يسمع من معاذ وعروة مقبول.

ولـه طـريق عـن يزيد بن عامر – في الأوسط يزيد بن سعيد- بن أبي اليسر عن أبيه عن أبي اليسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول .

رواه الطبرانـي في الأوسـط (٧٥٠٣)، والبـزار في مـسنده (٢٣٠٢) ويـزيد وابـوه غـير معـروفين فالحديث ضعيف.

وله عن أبي سعيد أنّه صلى الله عليه وسلم قال : «**إذا أصبح ابن آدم فإنّ الأعضاء كُلّها تكفّر اللسان تقول: اتق الله فينا، فإنّما نحن بك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»[١]، فمن أيقن قلبه بوعيد الآخرة فيما حصد لسانه من القول، جاهده بالكفّ عن التكلّم فيما لا يفيد مراقبة لله، فيخاف أنْ يتكلم بكلمة بسِخط الله منها فيهوي بها في النار مقدار خمس مائة عام عذاباً فيها من الله .

روى البخارى ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال : «**إنَّ العبدَ يتكلّم بكلمة ما يتبيّن فيها يزل بها الى باب النارِ أبعدَ ما بين المشرق والمغرب**»[٢].

وروي الترمذي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ الرجلَ ليتكلّم بالكلمة مِنْ رضوان الله تعالى ما كان يظن أنْ تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يَلقاه، وإن الرجل ليتكلّم بالكلمة مِنْ سخطِ الله تعالى ما كان يظنُ أنْ تبلغ ما بلغت، يكتبُ الله بها بسخطهِ إلى يوم يلقاه**»[٣] فما يعلم من شر لسانه إلا

= وطرق الحديث كلها ضعيفة، وأكثر الذين رووا الحديث لم يسمعوه من معاذ بن جبل، وهذا يجعلنا نضعّف الرواية لاحتمال أن مدار الروايات على راوٍ ضعيف أو مجهول سمعه من معاذ كما قال الشيخ ناصر رحمه الله في «إرواء الغليل» (٢/ ١٤١)، وتبقى رواية شهر بن حوشب هي الموصولة وهي ضعيفة بسبب شهر، لذا فالحديث بمجموع تلك الروايات المنقطعة ورواية شهر إما حسناً أو صحيحاً، والحديث صححه جمع من الأئمة من القدامى والمعاصرين.

(١) الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥) وفي الزهد (١٩٥) والطيالسي (٢٢٠٩)،وعبد بن حميد(٩٧٩)، وهناد في الزهد (١٠٩٧)، وأبو يعلى (١١٨٥)، والبيهقي في الشعب (٤٩٤٥ ، ٤٩٤٦) والحديث حسن.

(٢) البخاري (٦١١٢)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣) الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجة (٣٩٦٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٦٩)، وفي الزهد (١٥)، ومالك (١٧٨١)، والحميدي (٩١١)، وعبد بن حميد (٣٥٨)، والبخاري في التاريخ (٢/ ١٠٦)، وهناد في «الزهد» (١١٤١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٨ ، ١١٣٦)

المجاهد نفسه بالأمور الأربعة التي توجب له كفّه عن التكلّم فيما يسخط الله، أما الـذي لا يجاهـد نفسه بالأمـور الأربعـة بهـا لا يزال مطلقاً لسانه فيما تهواه مِنَ التكلم في أعراض الخلق ثم أنّه يتألى على الله بأنّ فلاناً بالنار أو مِنْ أهل النار أو لا يغفر الله له فيكّذبه الله.

روى مسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«قال رجل: واللهِ لا يغفرُ لفلان، فقـال الله عز وجل : مَنْ ذا الذي يتألى عليّ؟ لا اغفر لفلان ! إنّي قد غفرت له واحبطت عملك»**[1].

وروي أنَّ القائـل كـان رجـل عابـداً، قـال أبـو هريرة: تكلّم بكلمة أوبقت عمله دنياه وآخرته.

(٩٩/ب) فمـنْ يكـون كـنحوه يخسر خير الدنيا والآخرة، فيكثر تألّيه/ على الله بأن فلانـاً في الجـنة وفلانـاً في النار ولا يبالي بإحباط عمله في ذلك مِنَ الله ولو عنده يقـين بقـوله تعـالى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾** [الانفطار: ١٠،١٢] لكـفّ لـسانه عمـا لا يعنـيه، واشـتغل بما يعنيه مراقبة لله لكنّه ضَعُفَ فيه اليقينُ أو عَدَمهُ فأستولى عليه قيل وقال فيما يضره عند الله.

روى الـبخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إنّ اللهَ حرّم عليكم عقـوق الأمهـات، ووأد البـنات، ومـنعاً وهـات، وكـره لكـم قـيلَ وقال وكثرةَ**

= وابـن حـبان (٢٨٠ ، ٢٨١) و البيهقـي في الـسنن (٨/ ١٦٥)، وفي الـشعب (٤٩٥٧)، والحاكم (١/ ١٠٨،١٠٦) (٤/ ٦٤٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٤٠)، (١٣/ ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢) وابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٤١٣، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٨) والحديث صحيح.

(١) مسلم (٢٦٢١).

السؤال، وأضاعة المال»[١] فيظل بكثرة مقاله ساعياً في عقوق والديه، وتضيع بناته على غيبة ونميمة، وكثرة سؤال وإضاعة مال الله، فلا يكسبه إلا مِنْ حرام، ويضيعه في حرام، غير قاصد به وجه الله فيسيء خلقه بذلك فيمقته الناس الصّالحون، الذين حَسُنت أخلاقهم بإتباع نبي الله.

ما جاء في كثرة الكلام

روى الترمذي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ مِنْ أحبكم إليّ وأقربكم مِنّي مجلساً يوم القيامة أحاسِنكم أخلاقاً ، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مِنّي مجلساً يوم لقيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**»[٢] فمن لا مجاهدة له بالأمور الأربعة كان حاله الثرثرة بالكلام البليغ، والتشدق به في الناس بغير عمل به لله، فمن سمعه منه حيث ما يتفيهق به ظنَّ أنّه مِنْ خيار رجال الله، والحال أنّه مِنْ شرار الرجال، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] أي لكونه مفصحاً بيناً يؤخذ بقلب من أغتر به في الله.

---

(١) البخاري (٢٢٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢٠١٨)، وروى الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٢) وابن عساكر في تاريخه (٣٧/ ٣٩٧) عن جابر وهو حديث حسن.

وروى عن ابن عباس كما عند البيهقي في الشعب (٧٩٨٨) وصححه الشيخ ناصر رحمه الله وروى عند أبي هريرة عن البيهقي في السنن (١٠/ ١٩٤)، وفي الشعب (٤٩٧٠، ٧٩٨٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٩)، (٤/ ١٦٨) وسنده حسن.

ورواه الطبراني في الكبير (١٠٤٢٤) عن ابن مسعود وسنده ضعيف.

ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٩٣ ، ١٩٤)، وابن أبي شيبة (٢٥٣٢٠)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٢١ / ٥٨٨)، وفي «مسند الشاميين» (٣٤٩٠)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٧٧)، و«مداراة الناس» (٨٨)، والزهد «لهناد» (١٢٥٥)، والحارث بن أبي أسامة (٨٥٢-زوائده)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٨٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٣)، والشعب (٤٩٦٩) عن أبي ثعلبة الخشني والحديث حسن، وللحديث طرق أخرى مرسلة.

التشدق وتكلف الفصاحة

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ مِنَ البيان لسحراً**»[(١)] أي سحر بقلب مَنْ لا يعرف بالاختيار الكلام بعلم الله فإن الكلام بالعلم بغير عمل به يضرّ به أناساً كثيراً، فلا أبغض منه أحد عند الله.

وروي الترمذي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ الله يبغض البليغ مِنَ الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**»[(٢)].

وروي أبو داود أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ تعلّم صرف الكلام/ ليصرف به قلوب الرجال أو النَّاس لم يقبل الله مِنه يوم القيامة لا صرفاً ولا عدلاً**»[(٣)]. (١٠٠/أ)

وروى أحمد أنّه صلى الله عليه وسلم :«**لعنَ الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر**»[(٤)].

شدة الجدال

فهذا حال مَنْ لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة في الله فيظل في جدال الكلام البليغ وخصام به إرادة العلوية في أرض الله قال الله فيه:﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

---

(١) البخاري (٥٤٣٤).

(٢) الترمذي (٢٨٥٣)، أبو داود (٥٠٠٥)، وأحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧)، وابن أبي شيبة (٢٦٢٩٧)، والطبراني في الأوسط (٥٠٩١، ٩٠٣٠)، والبزار (٢٤٥٢)، والأمثال (٣٠٢) لأبي الشيخ، والبيهقي في الشعب (٤٩٧٢)، وعثمان الدارمي في نقضه علي بشر المريسي (٢/ ٨٧٤) والحديث حسن حسّنه الشيخ ناصر في «الصحيحة» (٨٨٠) وصححه في مواطن أخرى والراجح حُسنه وعلى ذلك أغلب أهل العلم.

(٣) أبو داود (٥٠٠٦)، والبيهقي في الشعب (٤٩٧٤)، والحديث ضعيف لإنقطاعه.

(٤) أحمد (٤/ ٩٨)، ووكيع في «الزهد» (١٦٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٦١/ (٨٤٨)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الرواي والسامع» (٦١٩)، والمقري في «أحاديث في ذم الكلام» (١٠٠) والحديث ضعيف جداً بسبب جابر الجعفي.

من هابه الناس خوفاً من لسانه والبذاء والفحش

وقال صلى الله عليه وسلم فيه : «**إنَّ أبغضَ الرجالِ إلى اللهِ الألدُّ الخصم**»(١) وقال فيه : «**كفى بكَ إثماً أنْ لا تزال مخاصماً**»(٢)، أي لا تزال مجادلاً بكثير الكلام الفاحش فيكون بذلك مغتاباً نمّاماً، فيستحق الويل فيهما مِنَ الله قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝﴾ [الهمزة:١] مبغوضاً لدى الناس ولدى الله روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ شرَّ الناسِ منزلة عند الله يوم القيامة مَنْ ودعه الناس أو تركه الناس إتقاء فحشه**»(٣) أي مخافة ثرثرته عليهم بالكلام الذي لا خير فيه، فمن هذا حاله لا يبالي بالكلام الفاحش ولا يستحي منه كما قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا لم تستح فأصنع ما شئت**»(٤) فهو توبيخ عليه ووعيد شديد فيه مِنَ الله، فمن أراد الله به خيراً عصمه من ذلك وجعله صادق اللسان كريم الفعال كما وصفه الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝﴾ [الفرقان: ٧٢] وكما قال: «**ليسَ المؤمن بطعان ولا لعان ولا بفاحش ولا بذيء**» رواه الترمذي(٥) ، وله وصححه أنّه صلى الله

(١) البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) الترمذي (١٩٩٤)، والطبراني في الكبير (١١٠٣٢)، والبيهقي في الشعب (٨٤٣٢ ، ٨٤٣٣) وهو حديث ضعيف، ضعفه الترمذي بقوله (غريب) وضعفه ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٨١). وورد معناه عن أبي الدرداء موقوفاً عند الدارمي (٢٩٣)، وأحمد في الزهد (١٣٨)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (٤٥).

(٣) البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٥٩١).

(٤) البخاري (٣٢٩٦).

(٥) الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤٠٤، ٤١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢ ، ٣٣٢) والسنة لابن أبي عاصم (١٠١٤)، وابن حبان (١٩٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٢١ ، ٣٣٠)، والطبراني في الكبير (٨٢٥٠ ، ١٣٠٦٣ ، ١٠٤٨٣) وفي الأوسط (١٨١٤)، وفي الدعاء (٢٠٧٤)، وأبو يعلى (٥٠٨٨ ، ٥٣٧٩)، والبزار (١٥٢٣، ١٩١٤ ، ٣٢٠٧)وأبو نعيم في «الحلية»(٤/ ٢٣٥)،

عليه وسلم قال: «ما مِنْ شيء أثقل في ميزان المؤمن مِنْ حُسنِ الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي[1] الذي يتكلم بالفحش»[2].

وروي مسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إنّ الرفقَ لا يكون في شيء إلا زانه وإنّ / الفحش لا يكون في شيء إلا شانه»[3].** (١٠٠/ب)

وروي الترمذي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كلِّ قريب هين سهل»[4].**

= (٥/ ٥٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٣ ، ٢٤٣)، وفي الشعب (٥١٤٩)، والحاكم(١/ ٥٧، ١٨٤) والحديث صحيح.

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي (٢٠٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠١٥٧)، والحميدي في مسنده (٣٩٤)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٧٣)، وفي «مداراة الناس» (٧٨) وابن حبان (٥٦٩٣، ٥٦٩٥) والبيهقي في سننه (١٠/ ١٩٣) وفي الشعب (٨٠٠٢) وفي الأربعون (١٠٨) ورواه غيره إلى قوله (حسن الخلق) رواه أبو داود(٤٧٩٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وابن أبي شيبة (٢٥٣٢٣)، والسنة لابن أبي عاصم (٧٨٣)، وعبد بن حميد في مسنده (٢٠٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٩ب٣)، والبرجلاني في «الكرم والجود» (١٣)، وابو نعيم في الحلية (٥/ ٢٤٣) (٧/ ٢٦٢)، (١٠/ ١١٠) والحديث باللفظ الكامل والجزء عن أبي الدرداء وهو حديث صحيح.

(٢) قوله (الذي يتكلم بالفحش) وضعه أكثر من طبع كتاب «الكبائر» كأنه تكملة للحديث وليس كذلك بل هو تفسير لكلمة (البذيء) ذكره عقب الحديث الذهبي في كتابه «الكبائر» والنووي في «رياض الصالحين» فلعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب نقله الحديث مع تفسيره دون الفصل، وعلى الطابع أو المحقق أن يفصل بينهما حتى لا يظن أحدٌ أنه جزءاً من الحديث.

(٣) مسلم (٢٥٩٤)

(٤) الترمذي (٢٤٨٨)، وأحمد (١/ ٤١٥)، ويحيى بن معين في حديثه (٣٠)،وهناد في «الزهد»(١٢٦٣)، وابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (٩٧). وابن حبان (٤٦٩ ، ٤٧٠)، وفي «روضة العقلاء»(٦٣)، والطبراني في الكبير (١٠٥٦٢)، والبيهقي في الشعب (١١٢٥١، ١١٢٥٢)، وفي «الأربعين

وروي عن[(١)] جرير أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يحرم الرفق يحرم الخير كُلّه»[(٢)] والمراد بالرفق هو الخلق الحسن الموزون على قواعد شرع الله، فمَنْ يحرمه حُرِمَ ثوابَ ربّه مِنْ كلّ خير يُرجى نعيمة في جنة الله، فلا يكون المحروم منه إلا كذّاب، والخيانة بها في مال الله فينزع بذلك منه الإيمان أو يضعف فيه أو لا ينتفع به، والله أعلم بحاله يوم يلقى الله.

ما جاء في الكذب

قال تعالى في وصفه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:١٠٥] فمتى كان خلقه الكذب تنزّلت عليه لعنات الله كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود:١٨] فيسكن بذلك النفاق قلبه، فيكون مخادعاً بكذبه المؤمنين بالله فهم يصدقونه في مقاله وهو كذوب عليهم، كما قال تعالى في وصفه : ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٩] أي أنّ وبال كذبهم راجعٌ عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠] فعلى قَدْرِ ما تخلّق بالكذب يكون عذابه في الدنيا، وفي المواقف التي يحشر فيها إلى نار الله، فقد شدد الله وعيده على مَنْ تخلّق بالكذب بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الجاثية: ٧] ﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الجاثية ٨] أي في وعيد الكذب ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾[الجاثية: ٨]. فيجره كذبه إلى كلّ كبيرة وصغيرة حتى يصيّرها كبيرة لإصراره عليها، وعدم مبالاته فيها بوعيد الله ، فيكفر قلبه بذلك فلا يسمع موعظة مِنْ أحدٍ فيها زجرة

= الصغرى» (١٢٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو حديث حسن، وقد ورد عن أبي هريرة وسنده ضعيف وعن جابر وسنده ضعيف أيضاً.

(١) في المخطوط (ابن جرير) وهو خطأ.

(٢) مسلم (٢٥٩٢) عن جرير

إلا استهزء به كما قال تعالى في وصفه: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية:٩]. أي عما يرجون فيه الثواب من الله ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ [الجاثية : ١٠] أي أصدقاء في كذبهم سواء كانوا منافقين أو كفاراً بالله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [الجاثية:١٠] أي النار التي وقودها الناس والحجارة ، ويسكن في أسفلها المنافقون المتخلقون بالكذب على الله فلا ينجوا منها إلا مَنْ تخلّق بالصدق، ولازم به تقوى الله.

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الصدقَ يهدي إلى البّر ، وإنّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وانّ الرجل ليصدق حتى يُكتبَ عند اللهِ صديقاً، وإنّ/ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجورَ يهدي إلى النار، وإنّ (١٠١/أ)
الرجلَ ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً»[(١)].

روى مالك أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت في قلبه نكتةٌ سوداءَ حتى يسودّ قلبه فيكتب عند اللهِ مِنَ الكذّابين»[(٢)].

---

(١) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) ذكره مالك بلاغاً عن ابن مسعود (١٧٩٤) وقوله ﷺ خطأ بل هو ذكره موقوفاً على ابن مسعود، ولم أجده في جميع المصادر موصولاً أو مسنداً. ولفظه عند مالك برواية يحيى الليثي: (لا يزال العبد يكذب وتنكت في قلبه...) وهو في الاستذكار لابن عبد البر كذلك(٨/ ٥٧٥) وكذا السيوطي في تنوير الحوالك (٢٥٤) ولكن ورد بلفظ المؤلف بزيادة (ويتحرى الكذب) وعند المنذري في «الترغيب والترهيب» والذهبي في الكبائر، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٠٨)، وقاله: (... وزاد فيه زيادة مفيدة ولفظه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب) قلت: فلعل هذه الزيادة موجودة في رواية من روايات الموطأ غير رواية يحيى الليثي.

وروي أيضاً عن صفوان قال: قلنا: يا رسول الله: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم». قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا»[١] أي يتخلّق بالكذب؛ لأنَّ إيمانه يحجزه عنه لعلمه أنّه يكون به منافق القلب مبعداً مِنَ الله، حتى أنَّ الملائكة يكرهون مَنْ قال بالكذب ويتباعدون عنه لكونه خاوى[٢] الشياطين الذين يظلمون عن سبيل الله.

ما جاء في إخلاف الوعد

روى الترمذي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا كذبَ العبدُ تباعدَ عنه الملك ميلاً**»[٣] أي لكونه يشم منه رائحة نتنة[٤] لا يستطيع أن يقف عندها، فمتى تباعد عنه مَلكه الموكّل به قربت منه الشياطين، فزادوه غيّاً على غيّه حتى يشرك بالله؛ فيخلف بذلك الوعد، ويخون في أمانته، ويخاصم ويفجر وينقض عهد الله، فيعقبه بعد ذلك النفاق الذي يُظلِمَ قلبه، ويستمر به إلى يوم يلقى به الله، قال تعالى في وصفه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ

---

(١) مالك في الموطأ (١٧٩٥)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٤٧) وفي الشعب (٤٨١٢)، وهو حديث مرسل، قال: ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٥٣)، وفي الاستذكار (٨/ ٥٧٥): (لا أحفظ هذا الحديث مسنداً من وجه ثابت وهو حديث حسن مرسل).

(٢) أي آخيته من الأخوة وهي كلمة تستخدم في الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام وهي ليست فصيحة بل عامية.

(٣) الترمذي (١٩٧٢)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٤٦)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٣٧)، والبيهقي في الشعب (٤٨١٢)، وابن الجوزي في العلل (١٢٩٢)،والحديث منكر،انظر السلسلة الضعيفة (١٨٢٨).

(٤) هذا التعليل ليس من الشارح بل هو من تكملة الحديث (... الملك ميلاً مِنْ نتن ما جاء به) فوجب التنبيه.

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٧] فكلّ ذلك كان مِنْ آفة الكذب الذي يبنى عليه النفاق المسْفِلُ بصاحبه في دَرَك نار الله.

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافِق ثلاثاً؛ إذا حَدّث كَذَب ، وإذا وَعدَ أخلف، وإذا أئتمن خان»[1].

وهما أيضاً أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافق خالصاً، ومَنْ كانت فيه خصلة منهنّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها/ ؛ (١٠١/ب) إذا أئتمن خان، وإذا وعدَ أخلفَ وإذا عاهدَ غدر، وإذا خاصم فجر»[2] فمنْ لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة في ترك الخصال المذكورة استولت عليه وأسكنته في سِفال نار الله، فإنّها مجمع الشرّ كلّه المؤدية إلى التكلّم في أعراض المحصنات الغافلات بالزنى على الزعم الفاسد الموجب للحدّ إما في الدنيا و إما في يوم الله.

ما جاء في زعموا

قال تعالى فيه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥] فمنْ باشرَ الإيمانَ قلبه يكون حذِراً مِنْ رمى المحصنات بالزعم الفاسد، ولا يصغي لمنْ يقوله ، بل يزجره عنه ويهجره في الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات:٦] وهم الذين لم يتبينوا في حكمهم فيحكمون بزعم الناس فيه بغير بيّنة مِنْ شرع الله.

---

(١) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «بئسَ مَطيّة الرجلِ زعموا» رواه أبو داود[١].

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «كفى بالمرءِ كذباً أنْ يُحدّث بكلّ ما سَمَع» رواه مسلم[٢]، فلا يجوز التكلّم بالزعم فيما يضر بمسلم؛ سيما ما زعم به

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٢) وأحمد (٤/ ١١٩)، (٥/ ٤٠١) وابن المبارك في «الزهد» (٣٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٢)، وابن أبي شيبة (٢٥٧٩١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٩٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٤٧) كلهم من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي مسعود، وفي رواية أن أبا عبد الله قال لأبي مسعود أو أبو مسعود قال لأبي عبد الله.
وفي رواية أبي قلابة حدثني أبو عبد الله.
وقال أبو داود في سننه وبعض أهل العلم: أن أبو عبد الله هو حذيفة بن اليمان، وخالفهم بذلك ابن حجر العسقلاني كما في الإصابة (٧/ ٢٥٩).
والحديث حكم بعض أهل العلم بأنه متصل، وآخرين قالوا بأنه منقطع؛ وسبب ذلك رواية أبي قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي) عن أبي عبد الله، فالشيخ الألباني يرى أنه أدركه بدليل أنه جاء في بعض الروايات أنه قال حدثني أبو عبد الله. انظر السلسلة الصحيحة (٨٦٦).
بينما يرى آخرون أنه منقطع فأبي قلابة لم يسمع أبو عبد الله سواء كان حذيفة بن اليمان أو أبو مسعود البدري. وهذا هو حق؛ فإن أبي قلابة وفاته سنة (١٠٦ هـ) ووفاة أبو مسعود البدري (٤٢ هـ)، ووفاة حذيفة بن اليمان (٣٦ هـ).
فاحتمال السماع ضعيف جداً وقد صرح أبو مسعود الدمشقي في الأطراف، وابن عساكر بذلك أنه لم يسمع منهما.
أما ما جاء في بعض الروايات أنه صرح بالتحديث عنه فإنها حتماً خطأ من الرواة.
وقد صرح ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٥١) بانقطاعه.
بقيت رواية البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٣) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٠١، ٦٨٨) عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن عبد الله بن عامر قال: يا أبا مسعود...
وقد حكم عليها الشيخ ناصر بالشذوذ، قلت: وسندها ضعيف ولكنها رواية متصلة.
فالحديث ضعيف بكل طرقه، والله أعلم.

(٢) مسلم (٥).

رمي محصنة أو رمي بريء؛ مِنْ خيانة أو نقضِ عهدِ الله، فما يكون قول المؤمن بالزعم أبداً ، إنما هو قول المنافق الذي لا يبالي بوعيد الله، فإنّ قول المؤمن فصل من قول ربه لا هزل فيه ولا هزو بأحدٍ يتخذه به مضحكة في خلق الله، فلذلك لما قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] وقالوا له﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

ما جاء في الكذب والمزاح ونحوه

[البقرة: ٦٧] وهم الذين يتلاعبون بأحكام الله، فيستهزء بعضهم ببعض عندما يقال لهم بها، ولا يتعاظمون قدرها لإعراضهم عنها، وتعاظمهم أحكام قوانينهم التي نقضت عرى الإيمان بالله، فدأبهم الكذب الذي أفسد عليهم إيمانهم وهم يحسبون انّهم على هداية الله، فلا يصلح الكذب في شيء إلا الذي يصلح به بين المتخاصمين ليكونوا مصطلحين على البرِّ وتقوى الله، فلا بأس أنْ يكذب عليهم بما يصلح بينهم ثم / يكف، وشرطه أن لا يرمي به أحد ببهت وإلا أثم به إثماً (١٠٢/أ)
عظيماً عند الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيقول خيراً أو ينمي خيراً**»[(١)].

روى مسلم أن صحابياً قال : لم أسمعه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يرخّص في شيءٍ مما يقول الناس أنّه كذب، إلا في ثلاث : «**الحرب، والصلح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها**» [(٢)] فهذا المرخّص فيه مِنَ

---

(١) البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) مسلم (٢٦٠٥).

الكـذب، شرطة أن لا يكون إلا عند الأمر المهم الذي ما يقصد به اللعب والهزو ولو بتفريح الصبي فقد حرّمه الله.

روى عـن عـبد الله بـن عامر قال: **«دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله علـيه وسـلم قاعد في بيتنا فقالت : هاه تعال أعطيك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما إنّك لو لم تعطيه لكتبت عليك كذبة»** رواه أبو داود[١].

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ قال لصبي هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة»** رواه أحمد[٢].

ولـه عـن أسماء قالت: يا رسول الله إنْ قالت لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟ قال: **«إنَّ الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة»**[٣].

---

(١) أبـو داود (٤٩٩١)، وأحمـد (٣/ ٤٤٧)، وابـن سـعد في الطـبقات (٥/ ٩)، وابـن أبـي الدنـيا في «الـصمت» (٦٤٨)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص٣٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٨)، وفي الشعب (٤٨٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢١٠) وفي سنده رجل مجهول ويشهد له الذي بعده، ومن حسّنه فإنما حسنه بالشاهد الآتي.

(٢) أحمـد (٢/ ٤٥٢)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٥٠)، وابن وهب في جامعه (٨٠) كلهم عـن الزهري عن أبي هريرة. والزهري لم يسمع من أبي هريرة فإنه مات سنة (١٢٤ هـ) بينما مات أبو هريرة سنة (٥٩ هـ). ومَنْ حسّنه فعلى الشاهد الذي سبقه.

(٣) أحمـد (٦/ ٤٣٨)، وابـن أبـي الدنـيا في «الـصمت» (٥٢٠)، وابـن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٤٩)، وفي الـشعب (٤٨٢١)، وعـزاه صـاحب الجمع (١/ ١٤٢) (٤/ ٧٨) للطبراني. من طريق يـونس بـن يزيد الأيلي عن أبي شداد عن مجاهد أن أسماء بنت عميس، وفي رواية الطبراني أسماء بنت يزيد.

وهذا الحديث ضعيف بسبب أبي شداد فإنّه غير معروف. ومجاهد لم يسمع أسماء بنت عميس.

والحـديث ورد عن أسماء بنت عميس أنها كانت صاحبة عائشة التي هيأتها فأدخلتها على النبي ﷺ في نـسوة فمـا وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن فتناوله فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحييت منه

وأنه صلى الله عليه وسلم قال: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له**»[١] فما كرر صلى الله عليه وسلم الويل مرتين فيمن ذكر إلا لشدّة عقابه الذي يرميه في مهوى مِنَ النار تسعين عاما[٢] ما يبلغ قعره، هذا كُلّه في كلمة كذب واحدة، فكيف بالأكاذيب[٣] الكثيرة؛ التي صارت صنعه أهل زماننا، المعرضين عن أحكام الله؟ فلا يتعاظمون إلا أحكام الطاغوت مِنْ قوانينهم ويتملّقون بها ولها لينالوا بها ديناً تُذْهِبُ عليهم دين الله، فأكثر قولهم قول الزور في مدح أو ذم لأجل دنيا، غير مراقبين فيها الله، فلو راقبوه لأجتنبوا قول الزور امتثالاً لقوله: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج:٣٠] لكنهم أثروا مراقبة الناس على مراقبته/ حتى أشركوا في عبادة الأحياء منهم (١٠٢/ب)

فقلت لا تردي يد رسول الله ﷺ فأخذته فشربته ثم قال: ناولي صواحبك، فقلن: لا نشتهيه، فقال: لا تجمعن كذباً وجوعاً...» ثم ذكر الحديث المذكور.

وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر آنذاك في الحبشة لذا رجّح الذهبي في السير (٢/ ١٧٣) والهيثمي في المجمع (٤/ ٧٨)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١٠٨) أنها (أسماء بنت يزيد) كما ورد في رواية لأحمد (٦/ ٤٥٨ ، ٤٥٩) والطبراني في الصغير (٧١٠) وفيها شهر بن حوشب. والحديث ذكره الشيخ ناصر في الضعيفة (٢٣٩٥).

(١) أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦، ١١٦٥٥)، وأحمد (٥/ ٢ ، ٥ ، ٧)، و الدارمي (٢٧٠٢) وابن المبارك في «المسند» (١٧)، وفي «الزهد» (٧٣٣)، وهناد في الزهد (١١٥٠)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٠٣ / (٩٥٠ – ٩٥٤)، والروياني في مسنده (٩١٠)، وتمام في فوائده (٦٠١-٦٠٤)، والقطيعي في «جزء الألف دينار» (٢٥٨)،والحاكم(١٤٢)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٦)، وفي الشعب (٤٨٣١)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٦٥) والحديث حسن.

(٢) ورد لفظ (تسعين خريفاً) في رواية عند أبي يعلى (٢٦١٦) عن أبي هريرة، ووردت كذلك في حديث أبي سعيد الخدري في الذي يصوم يوماً في سبيل الله أن يباعد الله بينه وبين النار سبعين خريفاً، وورد في رواية عبد بن حُميد (٩٧٧) (تسعين خريفاً).

(٣) لم أجد جمعاً لكلمة الكذب هكذا وإنما هي جمع غير فصيح.

والأموات، فاستحقوا البعدَ مِنْ رحمة الله، فخربَ حالهم واندل بعضهم لبعض في طلب الدنيا بمدحٍ كاذبٍ وصادقٍ، قاصدين به خدعة ومكراً وتغريراً[1] يأثمون به مِنَ الله.

ما جاء في التملق ومدح الإنسان بما ليس فيه

روى الإمام أحمد عن أبي داود عن شعبة عن قيس بن مسلم أنّه سمع طارق بن شهاب يحدّث عن عبد الله قال: **«إنّ الرجل يخرج من بيته ومعه دينُهُ فيلقى الرجل له إليه حاجة فيقول له: إنّك كيت وكيت يثنى عليه وعسى أنْ لا يقوم من حاجته بشيء فيسخط الله عليه فيرجع وما معه من دينه شيء»**[2]، فهذا الخلق الذميم قد استولى على الناس اليوم، وتملّقوا به وجعلوه وسيلة إلى قضاء حوائجهم وما بالوا فيه بذهاب دين الله، فقد ذهبَ به الدين كلّه لقوله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ تواضع لغني مِنْ أجل غناها ذهب ثلثا دينه فلا يزال يتناقص حتى يذهب كلّه»**[3] كما يُفهم ذلكَ مِنْ حديث رسول الله أنّه صلى الله عليه

(١) في الأصل (وغراراً).

(٢) أحمد في العلل (١٨١٦)، والطبراني في الكبير (٨٥٦٢)، وابن المبارك في الزهد (٣٨٢)، وهناد في «الزهد» (١١٥٣)، و«الإيمان»« للعدني (٤٧٠)، و«صفة المنافق» للفريابي (١١١)، والحاكم في مستدركه (٨٣٤٨) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١٨) رواه الطبراني بأسانيده ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٣) ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٥٤٤٩)، عن أبي ذر بلفظ «لعن الله فقيرا تواضع لغني من أجل ماله، من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه».
ومعناه عن ابن مسعود عند أبي نعيم في الحلية والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٨)، بلفظ: «من أصبح محزوناً..... ومن دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه...» والحديث ضعيف جداً، بل حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع.
وقد ذكر هذا الأثر عن فرقد السبخي وغبراهيم بن أدهم ووهب بن منبه أنه قرأ في التوراة أربعة أسطر آخرها (من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه) وهو عند أحمد في «الزهد» (٨٥ ، ٣٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٦) (٨/ ٢٣)، والبيهقي في الشعب (١٠٠٤٣، ١٠٠٤٦).

وسلم قال: «**لا يجوز التملق إلا في طلب العلم**»[(١)] وقال: «**اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير**»[(٢)].

فأهل هذا الزمان عكسوا ما أمروا به من حكمة الله ، فطلبوا العلم بعزّة الأنفس، وطلبوا الدنيا بالتملّق لخَلْقْ الله، ومع هذا الخُلق الذميم يزكّون أنفسهم بالتمادح بقول بعضهم لبعض: أنت سيّد العارفين يا مولانا، ويا سيدنا، وفلان فقيه ، وفلان عارف ونحو ذلك من المقالات الزوريّة ، المفترى فيها الكذب على الله، فمن خالف حاله الكتاب والسُنّة فمدح بعضهم لبعض، وهو تزكية كذب كتزكية اليهود ، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٩] أي بالتقوى الموجبة التملّق لأحكام الله، فأهل التقوى يخافون مِنْ تزكية أنفسهم أشد خوف، مترجين لهم تزكية الله.

ما جاء في النهي عن كون الإنسان مداحاً

روى مسلم عن المقداد أنّ رجلاً جعل يمدح عثمان بن عفان فجثى المقداد على ركبتيه فجعل يحثوا على وجهه مِنَ التراب، فقال عثمان:/ ما شأنك؟ قال: (١٠٣/أ)
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«**إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[(٣)].

---

(١) ورد بلفظ: «ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم» عن معاذ بن جبل رواه البيهقي في الشعب (٤٨٦٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢١١)، والرافعي في «أخبار قزوين» (١/ ١٧٧) والحديث موضوع، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (٣٨٣).

(٢) تمام في فوائده (١٩٤) وعنه ابن عساكر في تاريخه (٥٣/ ٧٠)، وعن تمام الضياء في المختارة (٩/ ٥١-٥٢) وسنده ضعيف انظر السلسلة الضعيفة (١٣٩٠).

(٣) مسلم (٣٠٠٢).

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والتمادح فإنه الذبح**»(١) فلا يعرف المدح أنّه ذَبح إلا لمصدق فيه بقول رسول الله، فيجاهده بالأمور الأربعة التي تزكّي نفسه حتى تصير مطمئنة بالله، فمتى صارت مطمئنة بالله كان صادق اللسان سليم القلب من الشك والإشراك بالله وإلاّ يفعل كان خلقه حُب المدح من خَلْق الله فيفتري به الكذب عليهم ليمدحوه، ويحب أنْ يحمد بما لم يفعله الله، فلا يفلح بذلك أبداً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس:٦٩].

والكذب عام في حقّ الخالق والمخلوق وعاقبته قلّت الفلاح والكسب فلا يفلح به في دنياه ولا في آخرته ، أما مَنْ تزكت نفسه بالمجاهدة طاب كسبه وأفلح به في دنياه وآخرته ، فما يعامل أحد إلا حلّت بركة الله في معاملته على قدر صدقه فيها لله.

ما يمحق الكذب من البركة

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال:«**البيّعان بالخيار مالم يتفرقا فإنْ صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإنْ كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(٢)، أما مَنْ لم يجاهد حب المدح بالأمور الأربعة فلا تتزكى نفسه، بل تصير أمّارة تريد به العلو في أرض الله، فمتى صارت أمّارة كان كاذب اللسان ، فاسد القلب بالشك والشرك بالله، فما يعامل أحد إلا مُحقت بركة الله مِنْ معاملته على قَدْر افترائه فيها الكذب على الله، حتى أنّه لا يبالي في كلِّ حديثه بدخول الكذب فيه يقظة

---

(١) ابن ماجة (٣٧٤٣)، وأحمد (٤/ ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩)، وابن أبي شيبة (٢٦٢٦)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٥٠/ (٨١٥)) وابن القانع في «معجم الصحابة» (١٠٢٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٣٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٣)، والحديث حسّنه البوصيري والشيخ ناصر في السلسلة الصحيحة (١١٩٦ ، ١٢٤٨)، وصححه آخرون.

(٢) البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

ومـناماً، مبعداً به من الله وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا**»[1] وأكذبكم حديثاً وأكذبكم رؤيا[2].

من تحلم ولم ير شيئاً وذكر مرض القلب وموته

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ تحلّم بحُلِمٍ لم يراه، كُلّف أنْ يعقد بين شعرتين**»[3] فما يصنع ما دُكِر إلا الذي دخل في قلبه مرضٍ النفاق المزاد بالكذب كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ / يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ١٠] فعلى قَدْر ما يكذب يقظة ومناماً (١٠٣/ب) سلّط الله عليه العذاب بأيدي المؤمنين بالله، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ۝٦١﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١] هذا إن كانت الصولة للأخيار فيهم، أما إذا كانت الصولة لأشرارهم فيسلط الله بعضهم على بعض بنكال الأموال حتى تمنوا الموت كرهاً للحياة الضنكة ، لا شوقاً إلى لقاء الله، فيكسب أحدهم ذنوباً كثيرة مع الإصرار عليها حتى يسودَّ قلبه بظلام الكفر بالله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلّم قال: «**إذا أذنبَ العبدُ ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإنْ تابَ ونزعَ واستعتب صُقل قلبه، وإنْ زادَ زادت حتى تعلوا قلبه فذلك الرّان، الذي قال الله في كتابه** ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ

---

(١) مسلم (٢٢٦٣).

(٢) قوله (وأكذبكم حديثاً أكذبكم رؤيا) هذه العبارة ليست تكملة للحديث إذ لا يوجد لفظ كهذا في الروايات وإنما هي استنباط من الشارح حسب مفهوم العكس.

(٣) البخاري (٧٠٤٢).

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤] رواه الترمذي[١] فهذا حال أهل الإصرار على معاصي الله فتصير معاصيهم على الإصرار كُلّها كبائر تُظْلِم عليهم قلوبهم حتى يَسكُن فيها الكفر بالله، قال الأعمش : (أرانا مجاهد بيده قال:«كانوا يرون أنّ القلب في مثل هذا ، يعني الكف ، فإذا أذنب العبد ذنباً ضمّ منه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا حتى ضم أصابعه كُلها ثم يطبع عليه بالطابع له وكانوا يرون أنّ ذلكَ الرّان» رواه ابن جرير[٢].

وقد بيّن الله الطابع بقوله: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ١٠] أي ما يُسعدهم في دنياهم وأُخراهم فلا يسعون إلا فيما يشقيهم فيهما خزياً لهم مِنَ الله.

روي عن مجاهد أنّه قال : الرَّان أيسر من الطابع، والطابع أيسر من الأقفال، والمراد بها ما قاله الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] فعلامة قُفل القلب عدم تدبره حين ما يتلى عليه آيات الله، فهو القلب المنافق المنكوس في حُبّ الدنيا الذي ما همه إلا هي ، حتى يصير عبداً لها مبغوضاً بها لدى الله، أما قلب المؤمن فلا يكون أكبر همه إلا
(١٠٤/أ) آخرته/ متدبراً به أي كتاب الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«القلوب أربعة؛ قلب أجرد فيه سراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس ، وقلب مصفّح.**

---

(١) الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجة (٤٢٤٤)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٨) وأحمد (٢/ ٢٩٧)، وابن جرير في تفسيره (١/ ١١٢) (٣٠/ ٩٨)، وابن حبان (٩٣٠)، والحاكم (٢/ ٥١٧)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٨٨) وفي الشعب (٧٢٠٣) والبغوي في تفسيره (٣٦٥) والحديث صححه النسائي، وهو حديث حسن.

(٢) الطبري في تفسيره (١/ ١١٢) (٣٠/ ٩٩).

أما القلب الأجرد فقلب المؤمن الخالص فسراجه فيه نوره.

وأما القلب الأغلف فقلب الكافر.

وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عَرَفَ ثم أنكر.

وأما القلب المصفّح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» رواه أحمد والطبراني[1]، فما يَعرفُ الفرق بين القلوب الأربعة إلا مجاهد نفسه بالأمور الأربعة مع الإنقطاع بها إلى الله، فهو الذي يخرج مِنْ تصفّح طبقات قلبه الحال فيها النفاق المسفِلُ بصاحبه في نار الله، فإذا خرجَ منها كان قلبه أجرد عن النفاق معدوداً مِنَ أولياء الله، وما دام النفاق فيه فهو شديد التعب في مجاهدة نفسه بالأمور الأربعة إلى أن يفرّج له الله، فإنْ صَبر على المجاهدة صبراً جميلاً تغلّب مادة إيمانه على مادة نفاقه، وكان مآواه جَنّة الله وإنْ ضجر وتسخط للقضاء تغلّب مادّة نفاقه على مادة إيمانه، وكان مأواه نار الله، فعلامة تغلّب نفاقه عدم إنكار قلبه للمنكر، وعدم بغض مَنْ يمنعه.

---

(١) أحمد (٣/ ١٧)، والطبراني في «الصغير» (١٠٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٥) مرفوعاً وعلّة الحديث ليث بن أبي سليم فالحديث ضعيف، وضعفه الشيخ الالباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٥١٥٨) وحكم ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٧) بجودة إسناده.

ورواه موقوفاً على حذيفة ابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٩) من طريق أبي البختري وروايته عن حذيفة مرسلة.

عن عبد الله أنّه قال: (هلكتُ إنْ لم يعرفْ قلبكُ المعروف، وينكر المنكر)[١].

الرضى بالمعصية

روى مسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«ما مِنْ نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له مِنْ أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره، ثم إنها تخلّف مِنْ بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[٢]، فعلِمنا بنص الحديث «إنّ مَنْ لم ينكر قلبه المنكر/ فليس فيه إيمان»، لما تغلّب عليه من مادة النفاق المسفل به في درك نار الله، لا سيما الذي يرضى بالمنكر ويتابع فيه أمراء الجَور الحاكمين بغير ما أنزل الله. (١٠٤/ب)

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«أنّه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ، ومَنْ كره فقد سلم ولكن مَنْ رضي وتابع»** رواه البخاري ومسلم[٣] وفي رواية لغيرهما بعد وتابع **«فأولئك هم الهالكون، فأولئك هم الهالكون فأولئك هم الهالكون»**[٤] فقد شاهدنا أهل الجَور اليوم متحابين في

---

(١) ابن أبي شيبة (٣٧٥٨١)، والطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٢٩)، والطبراني في الكبير (٨٥٦٤)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ٢٨٣، ٣٣٦).

(٢) مسلم (٥٠).

(٣) مسلم (١٨٥٤) ولم أجده في البخاري.

(٤) هذه الزيادة وردت عند ابن أبي شيبة (٣٧٧٤٣)، والطبراني في الكبير (١٠٩٧٣)، وابن عدي في الكامل (٧/ ١٣٢) ولفظها: (ومن خالطهم هلك) من طريق ابن عباس وسندها ضعيف جداً ووردت عند أبي عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٤٢)، من طريق الحسن مرسلاً. وأورده الدارقطني في «حديث أبي الطاهر» (٢٧) من طريق لا يثبت.

قوانينهم التي ابتدعوها، ونقضوا بها عرى الإيمان بالله فجعلوا يتقاتلون عليها، وكل منهم حريص على قتل صاحبه، ويتمنى أنّ يقتله إذا هو عاداه فيها مع أمنهم فيها وعيد الله.

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: أنّه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[1] فهذا دأب أمراء الجَور فهم يتقاحمون في النار كتقاحم القردة كما قال رسول الله : «**فمن تمنّى أن يكون مثلهم وتكون المهلكة له كنحوهم، عُدّ منهم وحشر معهم يوم الله، فإنّ كل أمير يبعث على ما أحبه في دنياه مِنْ خير أو شر ويكون سيماه ولا تبديل لحكمة الله**»[2].

تمني المعصية والحرص عليها

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة رجال:**

رجل آتاه مالاً وعلماً فهو يعمل في ماله بعلمه.

ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فقال: لو كان لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان.

فهما في الأجر سواء.

ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بماله ما يدري ماله وما عليه.

= أما اللفظ الذي أورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فلم أجده، وإنما ورد في حديث آخر: «... ومن لم يتبعني فأولئك هم الهالكون».

(١) البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) الطبراني في الكبير (١٩٢٥)، وفي الأوسط (٥٣١١)، وأبو يعلى (٧٣٨٢)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٢٧١)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٠٤)، وابن عساكر في تاريخه (٥٩/ ١٦٨ ، ١٦٩)، والحديث حسن والبعض يصححه.

ورجـل لم يـؤته الله مـالاً ولا علمـاً فقال: لو كان لي مال لعملت فيه مثل عمل فلان.

فهما في الإثم سواء» رواه الترمذي وصححه[١].

فمـا يـنال أحـد الخُلـق الحمـيد مـنهما إلا بمجاهدة النفس بالأمور الأربعة الموجـبة للفـرار إلى الله، أمـا مَنْ لم يجاهد بها نفسه كان على الخُلق الذميم منهما المـوجب الأثـم الكـبير، المـبعد مِـنَ الله فـيكون بمنـزلة﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾
[الحجـرات:١٤] ومـا باشـر قلوبهم الإيمان بالله فقال الله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ / وَلَٰكِن (١٠٥-أ)
قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجـرات: ١٤] أي انقدنا لأحكام الإسلام في الله ، فإنّ هم فعلوا بالمجاهـدة علـى الأمور الأربعة دخلٍ في قلوبهم حب الإيمان بالله فبشرهم بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : ١٤] أي لا بدَّ أنْ يدخلها ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ [الحجـرات: ١٤] أي لا ينقـصها مِنَ الـثواب علـى قـدر رفـع الهمـة إلى الله، ثـم عـرّفهم بـرفع الهمة إليه بقوله﴿ إِنَّمَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥] أي لم يشكوا الريب
فيما وعدهم به مِنَ الإحسان وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجـرات:١٥] أي بذلـوا مهج نفوسهم وأموالهم في سبيل الجهاد الأكبر والأصغر في الله، إذْ لا يصلح الأصـغر إلا بالأكـبر، فـإذا فسد الأكبر فسد الأصغر، ولم يصلح فيه الإخلاص لله، فـلا يـصلح الإخـلاص إلا بالاتـصاف بمـا وصـف الله بـه أهلـه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) الترمـذي (٢٣٢٥)، وابن ماجة (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٠)، وهناد في «الزهد» (٩٩٩)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤٤ / (٨٦٢-٨٦٧)، وفي الأوسط (٤٣٦٧)، والمرزوي في«زوائد الزهد»(٩٩٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٧٩). والحديث صحيح.

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤] فمتى حلّ اليقين القلب بالمجاهدة بالأمور الأربعة كان الإخلاص لله فيه، يكون العمل لله في الجهادين لما بعد الموت رجاء التزحزح عن النار ودخول جنة الله، فمَنْ وصِفَ بذلك يبشر بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة:٥] أما مَنْ سواهم مِنْ أهل الشك في وعدِ الآخرة ووعيدها فهم بمنزلة مَنْ قيل فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝﴾ [الجاثية:٣٢] فهذا وصف الذين كفروا والذين نافقوا، فإذا أُدخل أحدهم قبره وسئل عن دينه قال: هاه هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيرى سيئاته مصورة له في البرازخ كلّها تعذبه على قدر كفره وشكه الذي أنساه أحكام الله، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم/ مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝﴾ [الجاثية: ٣٣،٣٥] (١٠٥/ب) وقال صلى الله عليه وسلم: «**ما بعد الموت من مستعتب**»[١] أي مَنْ لم يعاتب نفسه قبل الموت ليردها عن غيّها واستهزاءها بآيات الوعيد ماله من مستعتب بعد موته يقبله منه الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] وهو الاستعتاب للنفس ﴿وَلَا تَنفَعُهَا

---

(١) ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٩٠)، والبيهقي في الشعب (١٠٥٨١) عن الحسن البصري: طلبت خطبة النبي.. فلزمت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، وسنده ضعيف فيه انقطاع ومجاهيل، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٨٩)، وفي سنده من لا يعرف.
ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٧٨) عن جابر ولا يثبت كذلك.

شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣] أي يجدون أشياء مِنَ الطاعات ينصرون به على مساوئهم الكفرية أو الشكية؛ لانّ الشكَ كفر عند الله، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون منه بأشدّ التخويف، ويجاهدون نفوسهم في دفعه بأشدِّ المجاهدة، ليحصل لهم اليقين بالله.

كان معاذ يقول في مجلسه كل يوم تعليماً له ولأصحابه، قلّ ما يخطئه: (الله حَكَمَ قِسط هلكَ المرتابون)[١] أي في الوعد والوعيد حتى لا يكون بنظره إلى ما بعد الموت في ما حكما به مِنْ القسط لله، فيخاف أنْ تخطئه الله فيه لعلّهُ طلب لما قبل الموت فيظل في جهاد أكبر ليصفوا له مِنْ بعد الموت، وهكذا وصف كل مؤمن بالله فيكون جهاده في تحصيل ما قاله صلى الله عليه وسلم: **«من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلوم أحداً على مالم يؤتك الله، إنّ الله بعلمه وقسطه جعل الرَوح والفرح في الرضى واليقين ، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسخط وإن رزق الله لا يجلبه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره»**[٢] فكان عمر إذا قرأ هذا الحديث يقول:

---

(١) أبو داود (٤٦١١)، وعبد الرزاق (٢٠٧٥٠)، الفريابي في «صفة المنافق» (٤٢) والآجري في «الشريعة» (٥٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢١٠) وفي الشعب (٨٩٩٤)، واللالكائي في «السنة» (١١٦).

(٢) رواه مرفوعاً أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) (٥/ ١٠٦)، (٧/ ١٣٠)، (١٠/ ٤١) والبيهقي

وروى موقفاً عن عبد الله بن مسعود ذكره ابن أبي الدنيا في «اليقين» (٢٣،٣٢)، وفي «الرضا عن الله» (٩٤)، وهناد في «الزهد» (٥٣٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٨). وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ١٧٥) وهو أصح من المرفوع.

ملاحظة: أورد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «الكبائر» هذا الأثر عن ابن مسعود ولم يورده مرفوعاً.

فعملت لذلك أعمالاً[١]؛ أي مجاهدة به في الله، فمن جاهد نفسه به على احتباك[٢] الأمور الأربعة تحقق بحقائق الإيمان بالله وهي في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخر السورة تحققاً بكل ما ذُكِر مِنْ وصف حميد في الله فيذوق لذلك حلاوة توجهه بكليته إلى الله، وهو الذي وصف في قوله صلى الله عليه وسلم: «**ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رضي/ بالله ربّاً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً**» رواه مسلم[٣]، فعلى قدر ما يجاهد الإنسان نفسه بالأمور الأربعة لإدراك التحقق بالإيمان يهدي الله قلبه إلى اليقين بها بعد الموت، حتى لا يكون شيء أحب إليه مِن الموت شوقاً إلى لقاء الله قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة في تفسير الآية: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها مِنْ عند الله فيرضى ويسلم)[٤]. فوصف ما ذكره علقمة لا يكون إلا في مجاهدة من أخلص في جهاده لله، فهو الذي إذا ابتلى كان فرحاً بالابتلاء ومسلّماً فيه لقضاء الله، أما غير المجاهد في الله نفسه لا يكون إلا متسخطاً فيه لقضاء الله، روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ الله إذا أحبَ قوماً إبتلاهم، فمنْ رضي فلهُ الرضى ومَنْ سَخَطَ فله السخط**» رواه الترمذي[٥]، فلا يوجد الرضى في (١٠٦/أ)

---

(١) هذا الكلام قاله عمر في صلح الحديبية وليس بعد هذا الحديث، وقول عمر ذكره البخاري معلقاً عن الزهري عن عمر في روايته لحديث صلح الحديبية (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٢) لم أفهم معناها.

(٣) مسلم (٣٤).

(٤) الطبري في تفسيره (٢٨ / ١٢٣)، والبيهقي في السنن (٤/ ٦٦)، وفي الشعب (٩٩٧٦) عن علقمة.

(٥) الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجة (٤٠٣١)، وأحمد (٥/ ٤٢٧) وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٥٦)، والبيهقي في الشعب (٩٧٨٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٢١)، والبغوي في التفسير(١٧٠) والحديث حسن.

القلب بالابتلاء، وصبر عليه إلا المجاهد نفسه في الله أما غيره فلا يرى به إلا شاكياً باكياً حزيناً، ولو نقص عليه قليلاً مما كان يعتاده في نعيم الدنيا والفخر به في خلق الله فعنده ما يكفيه ، وهو يطلب ما يطغيه ولا يرضى بابتلاء الله فيه حتى يؤخذ بقارعة الله، فلا توجد السكينة عند الابتلاء إلا لقوم جاهدوا النفوس والكفار والمنافقين لإعلاء كلمة الله كالنبيين وصحبه، فقال الله في وصفهم: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] فمن يخافوهم فيما ذكر الحق بهم وكان منهم ومحشوراً في زمرتهم كما وعد الله فلا يتحقق أحد أو قوم بوصفهم إلا إذا حكموا على أنفسهم قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] أي يظهرون التسليم فيما حكم عليهم مِنْ مرّ الحق ويبطنون حبّه كحبّ حلو الحق حبّا في الله ، فمتى أتصف أحد بما ذكر عُدّ ممن يقال لهم عند موته: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧،٣٠] القلق الاضطراب
هذا لا يكون إلا لمجاهد نفسه بالأمور الأربعة حتى صارت أرضاً متذللة لله ، فلا تغضب / لهوى ولا لدنيا تصيبها، إنما يكون غضبها لله. (١٠٦/ب)

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد شديد الصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» رواه البخاري ومسلم[١]، فلا يملك نفسه عند الغضب إلا المجاهد نفسه بالأمور الأربعة مراقبة لله، أما المراقب الناس فلا يملكها أبداً بل يعطيها هواها كي لا يرموه إذا هو صبر للذلّة، وهو يقدر على

---

(١) البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

العِزُّ بغضبه، ويزعم أنّه لله، فمن يرد الله به خيراً جعله مجاهداً نفسه بما وصّى به نبيه مَنْ يحبه في الله.

روى أن رجلاً قال لنبي صلى الله عليه وسلم : **أوصني قال: «لا تغضب»، فردده مراراً أي أوصني قال: «لا تغضب»** رواه البخاري[1]، فمن أمتثل لوصية نبيه مداوماً عليها تزكّت نفسه واطمأنت بالله فيبشر بقول نبيه صلى الله عليه وسلم: **«أفلح مَنْ أخلص لله قلبه للإيمان وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة، وجعل إذنه مستمعة وعينه ناظرة، فأما الأذن فقمع، وأما العين فمقرة لما يوعي القلب، وقد أفلح مَنْ جعل الله قلبه واعياً»** رواه أحمد[2] ومَنْ أراد الله به شراً جعله تارك نفسه هملاً كالإبل التي لا راعي لها، كما قال بذلك رسول الله[3]، فيكون وصفه ضد ما ذكر في وصف المؤمن المخلص لله، فإنْ جرَّهُ الصد إلى الكفر ولو باطناً وعُدَّ مِنَ الذين وصفهم الله بقوله: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَٰٓئِكَ**

---

(١) البخاري (٦١١٦).

(٢) أحمد (٥/ ١٤٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٤١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٨)، والحديث حسنه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١)، وأشار لتحسينه المنذري في الترغيب، لكن الحديث ضعيف ثابت الضعف كما السلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله (٢٢٢٧، ٤٩٨٥).

(٣) يقصد حديث أنس الذي رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «كنز العمال» (٢٨٦٩١) وعنه ابن عساكر في تاريخه (١٨/ ٧٨) ونقل عن الدارقطني استغرابه للحديث، وهو حديث موضوع، وانظر السلسلة الضعيفة (٨٦٠)، ولفظه: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقههم في الدين، ووقر صغيرهم، ورزقهم الرفق في معيشتهم والقصد في نفقاتهم، وبصّرهم عيوبهم فيتوبوا منها، وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً».

كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] أي عن ثواب ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم ، لكونهم يسعون فيما يخرب حالهم فيهما الجهالة ويخلّدهم في نار الله، فلا مخلّص مما ذكر في الآية إلا بالتشمير والمجاهدة للنفس بالأمور الأربعة ، التي تعرفه النفقة في دين الله، فلا يكون أكبر همه إلا طلبه التفقه بها مِنَ الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين»** رواه أحمد والبخاري ومسلم[1] ، فلا تفقه لأحد إلا بالتوفيق مِنَ الله في الأمور الأربعة التي هي الطريق/ إلى الله، أما مَنْ لم يوفقه الله لها يعيشُ على جهلٍ بها (١٠٧/أ) وارتياباً في الوعد والوعيد مِنَ الله، فإذا مات وسأله الملكان[2] في قبره عن دينه، فيقول: هاه هاه لا أدري، كالمفتجع في ظلام الليل، والنائم إذا رأى ما يهوله فينسى به ذكر الله، ولو أنّه يحفظ مِنَ العلوم والأذكار كثيراً، وليس هو محقق بها فلا يقدر أن ينطق بها وينساها ، كما هو مجرب لأهل الشكّ والشرك بالله، أما أهل اليقين بالله فصحوهم ونومهم كحال واحد، فلا يحسبون كل صيحة عليهم، ولا يحزنهم الفزع الأكبر يوم المحشر إلى الله، هذا لا يكون إلا للذين آثروا مراقبة الحق على مراقبة خلق الله، أما الذين آثروا مراقبة الخلق على مراقبة الله لا يكون إلا ممن وصفهم الله بقوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨] القحة أي يعلم متقلبهم ومثواهم، ولا يخفى عليه شيء مِنْ أعمالهم، إذْ يبيتون مالا يرضى من القول، فقد جرت الحكمة أنّ مَنْ آثر مراقبة الخلق على مراقبة الخالق

---

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، وأحمد (١/ ٣٠٦).

(٢) أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٩٥)، وابنه في «السُّنَّة» (١٤٣٨) وهناد في «الزهد» (٣٣٩)، وابن أبي شيبة (١٢٠٥٩)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٢٥)، وابن مندة في «الإيمان» (١٠٦٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٤٤) والحديث صحيح.

لا يبيت إلا وهو مهتم بما يرضيهم ، ولو كان بغضب الله فأهل الشرِّ لا يرضيهم إلا الشر، فلا يستحيون فيه ممن هو موصوف بالخير، ولا يستحيون فيه مَنَ الله.

قول صلى الله عليه وسلم في وصف أحدهم: «إن مما أدرك الناس مِنْ كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فإصنع ما شئت»[1] أي مِنْ كلّ شيء يُغضب الله، فلا يكون ما ذكر مِن آثر الحياة الدنيوية على الحياة الأخروية حتى استولى عليه حُبّ المال والشرف به في خَلْقِ الله، روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ما ذئبان [جائعان]أرسلا في غنم بأفسد مِنْ حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذي[2]، فمتى تتقوى فيه الحرص عليهما كان ممن وصفه الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج : ١٩، ٢٣] وهم الأخيار والذين آثروا الحياة الأخروية/ على الحياة الدنيوية بتوجههم الكامل في صلاتهم لله، فهي التي تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، ويزدادون بها إلا بعداً مِنَ الله ولا يزدادون إلا شُحاً على الدنيا وبخلاً بها، واكتساباً خبيثاً وفساداً في أرض الله، روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «أشر ما في الرجل شُحُ هالعٌ،

الحرص على المال والشرف

(١٠٧/ب)

(١) البخاري (٣٤٨٣)

(٢) الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٦٠،٤٥٦)، وابن أبي شيبة (٣٤٣٨٠)، والدارمي (٢٧٣٠)، وهناد في «الزهد» (٨٣٣)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٤١١) و«ذم الدنيا» (٣٥٧)، و«إصلاح المال (١٤-١٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٥٠)، وابن حبان (٣٢٢٨)، والطبراني في الكبير (١٠٧٧٨) (١٩/ ٩٦/ ١٨٩) وفي الأوسط (٥٣١٧) وفي الصغير (٩٤٣)، وأبو يعلى (٦٤٤٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٠)، (٧/ ٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٦٤، ١٠٢٦٥ ، ١٠٢٦٧ ، ١٠٢٦٨، ١٠٢٧٠ ، ١٠٢٧٢ ، ١٠٢٧٣)، والحديث صحيح وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة مستقلة، طبعت مراراً.

وجـبن خالع» رواه أبو داود[١]. روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا الشحَّ أهلـك مـن كـان قـبلكم حملـهم أن سـفكوا دمـاءهم وأستحلوا محارمهم**» رواه مـسلم[٢]، فهـذا دأب الأشـرار الـذين تملكـوا رعايـاهم بالظلم، وما استقام لهم مُلكهـم إلا بالقـتل والتجـبر، واعـتقدوا فـيه الصلاح وقلّبوا فيه الأمور في حكم الله، فـبخلوا بمـال الله أنْ يعطـوه مـستحقيه، وأمـروا أتباعهم بالبخل به، ليكون دُولـة بـين الأغنـياء مـنهم، وطـردوا عنه فقراء الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧] فعلـى قَدْرِ كُفرهم بنعماء ربهم في أمـوالهم، مِـنْ كفـر جحود أو نعماء، يكون عذابهم يوم الحساب فيه مِنَ الله، فلا يـنجو مِـنْ عـذاب الحساب في الأمـوال إلا الـذين وصـفهم الله بقـوله: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٩] فأعطوا منه الحق لمستحقيه مِـنْ سائل له ومحروم، قد عَفّ نفسه عن السؤال فعدوا مِنَ الأخيار المتقين لله، إذ لا يعـدُّ مـنهم إلا المتكـرم بماله في وجوه البِّر للناس حتى عدّوه سيدهم إكراما له في الله.

الهلع والجبن

البخل

روى أنّـه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ سيدكم يا بني سَلمة؟**» قلنا: الجد بـن قـيس على إنّا نبخّلهُ ، قال : «وأي داء أدوأ مِنَ البخل! بل سيدكم عمرو بن

---

(١) أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢، ٣٢٠) واسحاق بن راهوية(٣٤١)،وابن أبي شيبة(٢٦٦٠٩)، وابـن المبارك في «الجهاد» (١١١)، وعبد بن حميد (١٤٢٨)، والبخاري في التاريخ (٦/ ٨/ ١٥١٤)، وابـن حبان (٢٦٠٩)، وأبـو نعيم في الحلية (٩/ ٥٠)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٧٠)، وفي الشعب (١٠٨٣١) والحديث صحيح، صححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٥٦٠).

(٢) مسلم (٢٥٧٨).

الجموح» رواه البخاري.[١] ، فما يكون الكرم إلا ممن تذكر يوم الحساب، وخاف فيه وعيد الله، أما مَنْ لم يتذكر حتى نسيه فلا يكون إلا بخيلاً. بحقٌ الله في ماله، فهو بضدّ مَنْ يتكرم بماله في الله.

روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال لمن يوصيه بالكرم: « **لا توعي فيوع الله عليك**»[٢].

(١٠٨/أ) وروي عن أبي هريرة قال: / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ **يوم إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط مُنفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممسكاً تلفاً**»[٣]، فمن أعطى الحق الذي وجب عليه في ماله لمستحقيه فما يسمى بخيلاً ، وإن تكرم منه بنافلة سمي كريماً، فيكون له به صيت على قَدْر كَرمه به لله، فمن تكرَّمَ به امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد: ٣٧] أخرج الله أضغانَ قلبهِ مِنْ حسدٍ وحقد وغش وتكبّر على فقراء الله، ومَنْ لا يفعل إلا البخل في ماله تراكم على قلبه ضغائن البخل، وخسر به خير الله.

عقوبة البخل

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨] فمن لا يفتقر إلى الله بامتثال أمره في ماله كان ضرَّ بخله

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦)، وهنّاد في «الزهد» (٦١٤)،وابن سعد في«الطبقات»(٣/ ٥٧٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٠٥)، والطبراني في الكبير (١٢٠٦، ١٢١١٦) (١٩/ ٨١/ ١٦٣،١٦٤)، وفي الأوسط (٣٦٥٠ ، ٦١٧٨ ، ٦٨٨٦)، وفي الصغير (٣١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٨٩-٩٦)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٠٣)، والبيهقي في الشعب (١٠٨٥٥، ١٠٨٥٧ ، ١٠٨٥٩) والحديث صحيح.

(٢) البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).

(٣) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

راجعاً على نفسه، ومُساقاً به إلى نارِ الله، فأحسنُ تكرّم بمال الإنفاق في شهر رمضان، في واجب ونافلة يقصدُ بها وجه الله.

ازدراء النعمة والاستخفاف بحرمات الله

روى عن علي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذ استهل رمضان دعى الله مستقبل القبلة، وإذا فرغ أقبل على الناس وقال: يا أيها الناس ، إذا استهل رمضان فتّحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وسُلسِلتِ الشياطين، وكان لله عند كل فطرٍ عتقاً مِنَ النار، وينادي منادٍ : اللهمَّ أعطل كلَّ ممسك تلفاً، وكلَّ منفق خلفاً**»[1] فما أحد يوقن قلبه بدعاء ما أخبر به نبيه المذكور إلا أكتسب مالاً حلالاً وأنفقه على مستحقيه ليكون باراً به عند الله، أما مَنْ لا يوقن به كان اكتسابه خبيثاً وينفقه في خبيث، فيكون فاجراً به عند الله، فيطغى به حتى يودّ أنْ تكون الدنيا كُلّها له، فيلحق بمن قال الله فيهم: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩] فعلى قدر طغيانه بما جمع مِنَ الدنيا وظلم به نفسه وأهل زمانه، يكون تمزّقه بضراء البلاء فيكون أحاديث، عبرة وموعظة لمن يُذكّر بأيام الله، أما مَنْ لم يذكرها فلا يعتبر بما (١٠٨/ب) مزّق به أهل الطغيان ولا يتعظ بهم في الله، قال تعالى في وصفهم/ : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ

---

(١) ركّب الشارح هذا الحديث من عدة أحاديث منها:

- حديث: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار.. وفتحت أبواب الجنة.. وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» الحديث في السنن وهو حديث صحيح.
- وحديث: «أيها الناس قد أظلكم شهر رمضان..» وهو حديث ضعيف.
- وحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهمّ أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» متفق عليه.

بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢] فمن كان كنحوهم في كفران نعمة الله بجحود أو إصرار على المعاصي أذاقه الله لباس الجوع والخوف على قدر صنعه الفساد والعلو به في أرض الله، قال بعضهم: من ازدرى نعمة الله أي أحتقرها، وأستخف بحرمات الله، أي أنتهكها فقد أهلك نفسه وخسر دينه، فالازدراء لا يكون إلا ممن احتقر النعمة لصنعه بها معاصي الله، أما المعظم للنعمة فلا يكون منه إلا التشمير بها في المسابقة إلى مغفرة الله، فلا يكون ما ذكر إلا ممن صحح عقائده على الكتاب والسُنّة، حتى لم يكن سبّاباً لأصحاب رسول الله فإنّ سبابَهم عليه لعنة الله فيقول في دعائه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠] وهم القائمون بالقسط شهداء لله، فواجب عليه حُبَهم سبقوا أو الحقوا، ويواليهم وينصرهم على مَنْ قاومهم بجبروته، وهواه المخالف لما جاء به نبي الله، لا سيما موالاة من شُهِرَ في الناس الصالحين بولاية مستوفية شروط شرع الله، وهي في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] فما يجعل الولاية في أحدٍ بغير شرط ما ذكر إلا الفاسقون أعداء الله. بغض الصالحين

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»(١)، فما يحارب الله إلا مَنْ عادى ولياً قائماً بالقسط، داعياً به إلى الله، فإنْ تمكنت فيه العداوة عليه حسده على فضل ما آتاه ، فيصير بذلك من أشر الخلق في الدنيا والآخرة، مأواه نار الله قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ

(١) البخاري (٦١٧٣).

عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ

الحسد بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٤-٥٥] أي الذي صدَّ عنه بعداوته وحسده، حتى

(١/١٠٩) يبغضه الله، أما الذي آمن به حتى أحبَّ/ له من الخير ما أحبه لنفسه كان مأواه جنة الله.

روي[١] أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٢]، فلا يتأتى الحب المذكور في أحد إلا بمجاهدة النفس بالأمور الأربعة حتى يخرج من قلبه الحسد بتفويض الأمر إلى الله، فإنّ مَنْ لا يفوض أمر الخلق إلى الله في القسمة والتدبير حَسَدَهم على ما أعطاهم الله فيذهب حسده حسناته كُلّها حتى يدعه فقيراً فيها يوم يلقى الله.

روي[٣] أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والحسد فإنه يأكل حسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب**» رواه أبو داود[٤]، فمتى استولى الحسد على أحد أخذه سوء الظن بالمسلمين على غير روية رجماً بالغيب، أو شهادة زور افتراء على الله ولا يتذكر قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾ [الحجرات:١٢] يعني الذي يكون به رجم الغيب على غير بينة مِنْ شرع الله.

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٣) في الأصل بياض قدرته بـ (روي)..

(٤) أبو داود (٤٩٠٣)، وعبد بن حميد في مسنده (١٤٣٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٧٢)، والدقاق في «مجلس في رؤية الله» (٧١٣، ٨٦٨، ٩٥٩)، والبيهقي في الشعب (٦٦٠٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١٢٤)، والحديث ضعيف، وانظر «السلسلة الضعيفة» (١٩٠٢).

روي [١] أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» رواه مسلم [٢]، فأهل الشرّ لا يظنون بالأخيار إلا ظنَّ السوء وهم ينصحونهم في الله فلا يُرونَ إلا ساعينَ بالكذب، ويظلم بعضهم بعضاً، ويفترون في أحكامهم الكذب على الله، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾**﴾ [العنكبوت:٦٨] أي مِنَ الأخيار الذين كانوا ينكروا عليهم كذبهم، هؤلاء الذي كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، فعلى قدر ظلمهم وكذبهم فيه يكون اسوداد وجههم به، سواء كانوا كفار جحود أو كفار نعماء الله، فإنّ الإصرار على الكذب يسّود الوجه قال تعالى: ﴿**تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾**﴾ [الزمر:٦٠] فلا خلاص لأحد منه إلا بالتوبة النصوح على الأمور الأربعة حتى يدرك التقوى المنجية له مِنَ نار الله كما قال تعالى: ﴿**وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾**﴾ [الزمر: ٦١] وما سواهم فهم في النار مكردسون جثياً على وجوههم وركبهم يعذبون / فيها على قدر ما أصروا على الكذب الذي هو خلق الفّجار والكفّار بالله. (١٠٩/ب)

سوء الظن بالمسلمين

ما جاء في الكذب على الله أو على رسوله

ويشتّد العذاب على الذين افتروا الكذب على رسول الله، فيرون الأحاديث الموضوعة وهم يعلمون بها ليقضوا بها وطراً مِنْ خلق الله.

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) مسلم (٢٥٦٣).

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ كذِباً عليَّ ليسَ ككذب على أحدٍ، مَنْ كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ مِنَ النار»[١]

ما جاء في القول على الله بلا علم

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حدّث عني بحديثٍ يرى أنّه كذب فهو أحد الكذابين» رواه مسلم[٢]، فمتى تخلق بالافتراء على الله وعلى رسوله فلا يُبالي بارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما همه بها إلا شهوات المظاهر بها في خَلق الله، ثم أنّه يقرر ويكرر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٣٣] وهو يصنعها ولا يبالي فيها بوعيد الله ويزداد تقريره وتكريرهُ في قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣] وهو مراقب في كلِّ قوله وعمله للناس ليقولوا: أنّه عالم عارف بالله، مما يريد به علواً في أرض الله، فربما يفتري على العلماء المجتهدين بأنهم قالوا أو فعلوا، وهم ما قالوا ولا فعلوا إلا بخلاف ما اعتقده مما يريد به علواً في أرض الله، فما هو إلا مقلّد هواه في رأيه الفاسد، الذي ضلّ وأضل ناساً قد جهلوا عِلَمَ الله، فالواجب على كُلِّ عالم أن لا يقرر الناس إلا ما هو واضح النص في القرآن ، وفي سُنّة رسول الله وما هو مستخرج منهما فهو الحق والصواب، ولا يكون في غيرهما إلا الضلال والإضلال كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ابتغى الهدى مِن غيرهِ فقد ضلّ»[٣].

---

(١) البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

(٢) مسلم في «المقدمة» بدون سند، وهذا الحديث متواتر معروف.

(٣) جزء من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرفوع الذي رواه الترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٣٣٣١ ، ٣٣٣٢)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٠٧)، والبزار (٨٣٦)، والبيهقي في الشعب (١٩٣٥)، ولا يصح مرفوعاً فهو من رواية الحارث الأعور عن علي، والحارث ضعيف جداً.

روى أن أبا موسى قال: (مَنْ علّمه الله عِلَماً فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيصير من المتكبرين ويمرق من الدين)[1]. فمن لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة على ما حذّر أبو موسى فيه، فهو متكبّر على حكم ربه ومارق مِنْ دين الله، فقد مرقَ من الدينِ علماء اللسان كثير، بجهل قلوبهم بالعقائد الصحيحة في الله فقرروا بما لا يعلموه من الكتاب والسُنّة بأنَ زيداً أو عمراً اعطي التصّرف مِنَ الله، وإنّه يتصرف في قضاء حوائج الناس حياةً وموتاً، / (١١٠/أ) حتى أغروا العوام على دعائهم براً وبحراً باستغاثة وتضرع ونذراً ، أقوى من تضرعهم إلى الله، فكم قالوا وقالوا بعقائد فاسدة فيهم توهمُ السوية! حتى عَدَلوا بهم ربهم وغلوا في دين الله، فقد خالفوا بذلك صريح قول تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣] ، فمن نبأهم نبأ ما ذكر وأشباهه جهّلوه وأغروا عليه العوام بالبغضاء والعداوة، وقالوا فيه: أنّه يبغض أولياء الله، فمن أعظم منهم جهلاً وافتراء على الله، ونحوهم الذين اتخذوا رؤساء جهالاً لمناصبهم ، وحكموا عليهم بغير ما أنزل الله.

روي[2] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه مِنَ الناس ولكنْ يقبضه بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس**

= ورجّح ابن كثير في «فضائل القرآن» (١٥) أن الحديث ثابت من قول علي رضي الله عنه.

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٩-١١٠) وفيه: (...ومن المتكلفين..) ونقله ابن القيم في «إعلام الموقعين» من طريق البغوي.

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا»[١]. فقد تغلّب ما ذكر في المدن والبوادي حكم أمرائهم بالجَور على رعائهم بغير علم الله، وما اجتنبوا قول الزور فيه بأنهم حكموا لا بحكم الله، والحال أنّه من قوانين الجبابرة؛ الذين اعتقدوا أنّه لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبّر، ولا الغنى إلا بالبخل والتفاخر، فمنعوا مِنَ المال حقَّ الله، فكم يشهدون بالزور على أخذ أموال رعاياهم بالباطل، ولم يبالوا في ذلك بوعيد الله.

ما جاء في شهادة الزور

روي[٢] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الطير لتخفق بأجنحتها وترمي ما في حواصلها مِنْ هول يوم القيامة، وإنّ شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوء مقعده من النار»** رواه البخاري ومسلم[٣]، فمن شّدة الوعيد فيه حذر منه صلى الله عليه وسلم بقوله: **«ألا وقول الزور إلا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قال أصحابه: ليته سكت»**[٤]، خشية أنْ ينزل فيه حكم يوجب الكفر بالله فمن لا يحذر مِنْ شهادة الزور أشد / الحذر وقع في الأيمان الكاذبة والافتراء بها على الله، فيحلف على مال زيد أو عمرو أنّه حقه وهو ما يملكه إلا بالباطل يتجاهل (١١٠/ب)

---

(١) البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٣) البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠٨)، وأبو يعلى (٥٦٧٢)، والحارث بن أبي أسامة (٤٦٥ - الزوائد)، ابن عدي في الكامل (٦/ ١٣٨)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٨١)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠٣) (١١/ ٦٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٢٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٧٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٢٦٩) والحديث ضعيف، كما في «السلسلة الضعيفة» (٢٥١٠) وغيرها.
وقوله البخاري ومسلم يقصد الحديث الذي بعده.

(٤) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

فيه حكم الله، فكثير من دعاوى الناس اليوم باطلة، يحلفون عليها أنّها حقيقة، وهي مخالفة لشرع الله.

ما جاء في اليمين الغموس

روى البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ حلف على مال امرئ مُسلمٍ بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان**» ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧][1].

روي[2] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ اقتطع حق امرؤ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**» رواه مسلم[3]، فقد تغلّب على أهلِ هذا الزمان الأيمان باقتطاع بعضهم أموال بعضٍ بباطل الأحكام المعادية، وهم يحسبون أنهم على هداية الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩] أي ببيانِ الحكم فيهما فقد قرنهما ليعلم الوعيد فيهما بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء: ٣٠] أي هيناً، أي العقاب فيهما وشديداً على مرتكبهما، الذي لم يبالي فيهما بوعيد الله، فقد جرت عادة اللّه أنَّ مَنْ لم يبالي بأكلِ مال المسلم بالباطل فلا يبالي بقتله بغير أمر الله، فهو يتعلّ على قتله بقانونه كما تعلّل على أخذ ماله بقانونه، كمقاتلة الملوك اليوم

---

(١) البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (١٣٨).

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٣) مسلم (١٣٧).

على الدنيا، التي أفسدت عليهم دين الله فإنّ أخذ مال المسلم بغير حق كسفك دمه، وقد قرَنَ الله ذنبهما في الآية الموضح بيانها مِنَ الله، وقد عَدَّ صلى الله عليه وسلم قتلَ المسلم بغير حق من الكبائر التي تماثل ذنب الشرك بالله.

روي[1] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات / الغافلات** (١١١/أ)
المؤمنات» رواه البخاري ومسلم[2]، فمن أشد فضيحة وعقاب يجده الصانع له رمي المحصنات بالزنى أو مُقدِماته وهو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور: ٢٣] فمن لا يجاهد نفسه في التورّع عن ارتكاب ما ذُكر بالأمور الأربعة وقع بها وأوبه في نار الله، والإصرار على بعضها يورث الاستهزاء بأحكام الحق، التي لا تهواها الأنفس الأمارة المعاندة لمرّ الحق في الله فيكون صاحبها بمنزلة مَنْ قال الله في وصفهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة: ١٤] فهذا دأب الذين نافقوا يظهرون الصلاح لمن قاموا عليهم بالسيف لنصرة دين الله، فإذا خلا بعضهم إلى بعض مَنْ يقاوم أهل الحق قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزئون؛ يعنون أنّهم ما قبلوا الحق إلا خوفاً من السيف والضرورة والحاجة، لا لأجل دين الله، ذكر البيضاوي في تفسيره أنّ سبب نزول الآية ما روى أن ابن أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم،

ما جاء في قذف المحصنات

ما جاء في ذي الوجهين

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي)

(٢) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحباً بالصديق سيّد بني تميم وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال مرحباً بابن عم رسول الله وجده، سيّد بني هاشم، ما خلا رسول الله فنزلت الآية[١]، فمنْ تخلّق بخلق هؤلاء الأشرار بينَ أهل الحق وأهل الباطل كان أشر مِنْ أهل الباطل وأضل سبيلاً منهم، وعتوا عما نهى الله فيكون مذبذبين بين أهل الحق وأهل الباطل كما قال تعالى: مُذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء [النساء: ٤٣] فلا يصدقه فريق الحق ولا يصدقه فريق الباطل مبغوضاً لديهما ولدى الله.

روى[٢] أنّه صلى الله عليه وسلم / قال: «**تجدون أشر الناسِ ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه هؤلاء بوجه**»[٣]. (١١١/ب)

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين مِنَ النار**»[٤] فمن لا يجاهد هذا الخُلق الذميم بالأمور الأربعة

---

(١) أسباب النزول ذكرها الواحدي في أسباب النزول (١٣ ، ١٤)، والثعلبي في تفسيره كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٦٤، ١٦٥)، من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا سند تالف معروف، حتى قال ابن حجر في «العجاب» (١/ ٢٣٧)، (آثار الوضع لائحة على هذا الكلام، وسورة البقرة نزلت في أوائل ما قدم رسول الله المدينة كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وعلي إنما تزوّج فاطمة رضي الله عنها في السنة الثانية من الهجرة) وانظر تفسير البيضاوي (١٧٥).

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٣) البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٤) هذا الحديث مروي عن عدّة من الصحابة وأشهرهم أنس فقد رواه عنه الطبراني في الأوسط (٨٨٨٥)، والبزار (٢٠٢٥ – كشف)، وأبو يعلى (٢٧٧١)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢١٦ ،

اكتسب به الكبائر كُلّها حتى يكفر قلبه بالله، فلا يمشي بين الناس إلا بالغيبة والنميمة موصوفاً بقوله تعالى فيمن كان على نحوه: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١١-١٣] أي كثير الشرِّ، روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة نمام»[١].

ما جاء في النميمة

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال في حديث القبرين: «إنهما ليعذّبان وما يعذبان في كبير بلى أنّه كبير». الروايتان للبخاري ومسلم[٢].

روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هل أنبئكم ما العضة هي النميمة القالة بين الناس» رواه مسلم[٣]. فما أحد تخلّق بالنميمة إلا كان مؤذياً للمؤمنين بالله قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨] فقد ذكرَ صلى الله عليه وسلم في أذية مؤمن واحد وعيداً شديداً بقوله: «مَنْ قال في مؤمن ما ليس فيه

ما جاء في البهتان

= ٢١٧)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٠٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ٢٦٢)، بأكثر من إسناد كلها ضعيف لا يصح.

وهو مروي عن أبي هريرة عند هناد في «الزهد» (١١٣٧) وتمام في فوائده (١١٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ١٥).

وكذلك مروي عن جندب بن عبد الله عند الطبراني في الكبير (١٦٩٧) وكذلك مروي عن عمار كما عند ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢١٤).

وكل هذه الأسانيد ضعيفة، وله طرق موقوفاً على الصحابة كابن مسعود وغيره.

ومن صححه فإنما يصححه لطرقه وشواهده.

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٢) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) مسلم (٢٦٠٦).

أسكنه الله رَدْغَةَ الخَبال حتى يخرج مما قال» رواه أبو داود[١] فكيف بأذية لعدد[٢] مِنَ المؤمنين والمؤمنات وهم يدعون عليه، وقد أجاب دعائهم الله؛ لأنّ دعوة المظلوم مستجابة ولو مِنْ فاجر، فكيف مِنَ الطائعين لله فلا بُد ما يؤخذ كل مَنْ آذاه حقه منه حتى مَنْ اغتابه، فلابُدَّ من القصاص يوم الله، فقد تهاون الناس اليوم بالغيبة وهي أشد من الزنا عند الله[٣].

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«أتدرون ما الغيبة؟»**، قالوا الله ورسوله أعلم قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»**، قالوا: أفرأيت إنْ كانَ في أخي ما أقول؟ قال: / **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»** رواه مسلم[٤]، فمن كان نمّاماً غيّاباً كان كذاباً قد استحق أن يكون ملعون لعاناً تتنزل عليه لعنات الله. (١١٢/أ)

ما جاء في اللعن

روى[٥] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إنّ العبدَ إذا لعنَ شيئاً صعدَتْ اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها فتهبط إلى الأرض فتأخذ يميناً وشمالاً حتى إذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن»** رواه أبو داود[٦].

---

(١) أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠،٨٢)، والطبراني في الكبير (١٣٤٣٥)، وفي الأوسط (٦٤٩١)، وفي «مسند الشاميين» (٢٤٦٠)، وعبد الرزاق (٢٠٩٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢١٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٨٨)، والبيهقي في السنن (٦/ ٨٢)، وفي الشعب (٦٧٣٥، ٦٧٣٦)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٣٩٢، ٨/ ٢٠٠)، والحديث صحيح وانظر السلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٢) في المخطوط (تعدد).

(٣) هذا فيه مبالغة غير شرعية فالزنى أكبر من الغيبة قطعاً

(٤) مسلم (٢٥٨٩).

(٥)في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٦) أبو داود (٤٩٠٥)، والبيهقي في الشعب (٥١٦٢)، والحديث حسن قال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٦٧): سنده جيّد. وحسّنه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب».

وروي عن بريدة أن امرأة لعنت ناقتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة**» رواه مسلم[(١)]، فمن لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة في الامتناع عن اللعنِ كان مبعد به مِنَ الله، فلا يبالي بكشف سريرة أمر يكتمها، حتى ما يكون بينه وبين امرأته مِنْ كيفية جماعها – بكسر الجيم –[(٢)] فيقول: ليضحك به الغافل عن ذكر الله.

ما جاء في إفشاء السر

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّ مِنْ أشر الناس منزلة عند الله الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي له ثم ينشر أحدهما سرَّ صاحبه**»[(٣)] وفي رواية: «**أنه مِنْ أعظم الأمانة**» رواه مسلم[(٤)].

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا**[(٥)] **حدّث الرجل بالحديث فهو أمانة**» رواه الترمذي[(٦)].

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن سمع مِنْ رجل كره أن يذكر عنه فهو أمانة، وإن لم يستكتموه**» رواه أحمد[(٧)].

= وللحديث شاهد عند الإمام أحمد (١/ ٤٠٨) بسند فيه مجهول.

(١) مسلم (٢٥٩٦).

(٢) هكذا قراءتها.

(٣) مسلم (١٤٣٧).

(٤) هي أحد روايات مسلم السابقة.

(٥) (إذا) منّا وفي الأصل (أحدث).

(٦) الترمذي (١٩٥٩)، أبو داود (٤٨٦٨)، وأحمد (٣/ ٣٥٢، ٣٨٠)، وابن أبي شيبة (٢٥٥٩٨)، والطبراني في الأوسط (٢٤٥٨)، وأبو يعلى (٢٢١٢ ، ٤١٥٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٩)، والحديث حسن بإذن الله، وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٠) .

(٧) أحمد (٦/ ٤٤٥)، والطبراني في الأوسط (٨٣٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٩)، والحديث ضعيف ولفظ الحديث: «من حدثه أخوه بحديث فهو عنده أمانة وإن لم يستكتمه».

ما جاء في لعن المسلم وتأكده في الميت

فأهل التضاحك والغفلة عن ذكر الله هذا حالهم في كشف الأسرار، التي أمروا بكتمها ولا يبالون بلعنة الله.

روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لعنَ المسلمِ كقتلهِ**» رواه البخاري ومسلم[١]. وروي عن أبي هريرة: أنهم ضربوا رجلاً شربَ الخمر فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله / قال: «**لا تقولوا هذا تعينون عليه الشيطان**». رواه البخاري[٢]. (١١٢/ب)

فما ذكرت من الأخلاق الذميمة قد تخلّق بها أهل هذا الزمان كُلّها، وقد نسوا فيها وعيد الله فلا يبالون بسبّ الأحياء والأموات سواء كانوا صالحين أو سيئين، ولا يذكرون فيه نهي رسول الله فإنّه قال: «**لا تسبّوا الأموات فإنهم قد افضوا إلى ما قدموا**» رواه البخاري[٣]، فإنّ السبّ في الميت يؤدي إلى القول بتكفيره[٤] أو تكفير مَنْ اتبعه، ومَنْ يكون بريئاً مما رُميَ به فترجع إلى الرامي فيبوء بغضب الله.

قول يا عدو الله ونحوه

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يرمي رجل رجل بالكفر إلا ارتدت عليه، إنْ لم يكن صاحبه كذلك**» رواه البخاري[٥].

روى[٦] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار**» رواه الترمذي[٧].

---

(١) البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١٠١).

(٢) البخاري (٦٧٧٧).

(٣) البخاري (٦٥١٦).

(٤) هذا اللازم والمقتضى غير دقيق، فليس كل مَنْ سَبَّ أدى به السب إلى التكفير.

(٥)البخاري (٦٠٤٥).

(٦)في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٧)الترمذي (١٩٧٦)، وأبو داود (٤٩٠٦)، وأحمد (٥/ ١٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٥٣١)، والروياني في مسنده (٨١١)، والطبراني في الكبير(٦٨٥٨ ، ٦٨٥٩)

روى[١] أنه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ دَعى رجلاً بالكفر أو الفسق أو قال على الله إلا صار عليه»** رواه البخاري ومسلم[٢]، فمن لا يتحاشى عما ذُكِر أدّاه إلى سبّ الوالدين بسب والدي من خاصمه بحق أو بغير حق في الله، روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مِنْ أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسبّ أمه فيسب أمه»** رواه البخاري ومسلم[٣]. فمن لا يجاهد ما ذكر كله بالأمور الأربعة عُدَّ مِنْ الملعونين المبعدين مِنَ الله فيتخلق بأخلاق الجاهلية، ويتعصّب بالبدع والمقالات المخالفة شرع الله.

لعن الرجل والديه

روي أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل بينهم خصام فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»**[٤] وغضب لذلك غضباً شديداً. فما غضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك إلا شفقة على أمته أن يتعصبوا على دعوى الجاهلية فيضلوا بذلك عن قواعد شرع الله، فقد ضلّ أكثر الناس بالقواعد القانونية ورمى بعضهم بعضاً بسببها بالفواحش، ولم يقيموا عليها حدود الله، فإنّ حدود الله إذا تعطلّت في قوم بعدت عنهم رأفة الله؛ فإنّ رأفة الله لا تكون قريبة إلا في قوم يقيمون حدود الله على الشريف والوضيع،

النهي عن دعوى الجاهلية

= والضبي في «الدعاء» (٢٠٧٥)، وابن طهمان في مشيخته (٥٢)، والحاكم(١٥٠)، والبيهقي في الشعب (٨١١)، والحديث حسن.

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (١١٢).

(٣) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٤) البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٥٤).

النهي عن الشفاعة في الحدود

ولا تأخذهم رأفة بمن يقيمونها عليه في الله قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢] فما ضعف الإيمان في قوم إلا لتركهم إقامة حدود الله، فربما يفقد مَنْ قَدَرَ على إقامتها، ولم يقيمها؛ لأنه لو آمن بالله واليوم الآخر لكانت أكبر همه في غضبهِ لله، لكنه لا يغضب لا لهتك تعظيم نفسه / ولا يغضب لهتك حرمات الله، فلو (١١٣/أ) علم وجوب حدّ على صاحب له شفع له فيه ولم يبالي بما ورد فيه من لعنة الله.

روى[(١)] مالك أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع**»[(٢)].

روى[(٣)] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود، فقد ضادّ الله في أمره**» رواه أبو داود[(٤)].

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) مالك في الموطأ (١٥٢٥) بسند منقطع، ورواه الطبراني في الأوسط (٢٢٨٤)، وفي الصغير (١٥٨)، والدارقطني في السنن (٣/ ٢٠٥)، والحديث حسنه الحافظ في الفتح (١٢/ ٨٧).

(٣) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٤) أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠ ، ٨٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٩٦)، والطبراني في الكبير (١٣٠٨٤ ، ١٣٤٣٥)، وفي الأوسط (٢٩٢١، ٦٤٩١)، وفي «مسند الشاميين» (٢٤١٨، ٢٤٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢١٩)، والحاكم (٨١٥٧)، والبيهقي في السنن (٦/ ٨٢) (٨/ ٣٣٢)، وفي الشعب (٦٧٣٥، ٦٧٧٣)، عن ابن عمر بألفاظ مختلفة.

ورواه الطبراني في الأوسط (٨٥٥٢)، والبيهقي في الشعب (١١١٥٧) عن أبي هريرة وسنده ضعيف.

روى(١) البخاري ومسلم أنّه صلى الله عليه وسلم زجرَ مَنْ تشفّع عنده في حدٍ ولم يعلم بحرمته فقال له: «أتشفع في حدٍ من حدود الله»(٢) فأهل هذا الزمان لا يشفعون إلا في تعطيل حدود الله وقد تعاونوا على الإثم والعدوان، وقلَّ مَنْ يتعاون منهم على البرِّ وتقوى الله قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢] فمن لا يتقي شدة عقاب الله في معاونته على الإثم والعدوان عُدّ مِنَ الأشرار، وأصابه عقاب الله، ومَنْ اتقاه عُدّ من الأخيار على قدر معاونته على البرِّ وتقوى الله، فعلامة الأخيار في ذلك السعي في الشفاعة الحسنة ابتغاء رضوان الله، وعلامة الأشرار السعي في الشفاعة السيئة ابتغاء رضى خلق الله، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ۝﴾ [النساء: ٨٥] أي ذنب عظيم له مِنَ الله فمتى اكتسب ذنبه العظيم كانت خصومته في الباطل كثيرة، ورميه المسلم بما ليس فيه عديداً، وهو آمن في ذلك وعيد الله.

من أعان على خصومة في الباطل

روى(٣) أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن خاصم في الباطل، وهو يعلم، لم يزل**

= ورواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو (٢٢٢٢) وأظنه خطأ فقد رواه من طريق يحيى بن راشد، ويحيى بن راشد رواه عند غيره عن ابن عمر.
وهو مروي موقوفاً على ابن عمر عند ابن أبي شيبة (٢٨٠٨٩) وعبد الرزاق (٢٠٩٠٥).
والحديث صحيح، انظر «السلسلة الصحيحة» (٤٣٨).

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).
(٢) البخاري (٣٢٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).
(٣) في الأصل بياض قدرته بـ (روي)

بسخط الله حتى ينزع، ومَنْ قال في مسلم ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال» قيل: يا رسول وما ردغة الخيال؟ قال: «**عصارة أهل النار**»، وفي رواية: «**ومن أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله**» رواه أبو داود[1]، فما يسلم مِنْ شرّ ما ذكره كلّه وعقابه إلا الذي جاهد نفسه بالأمور الأربعة حتى قدر على فطمها مِنْ شهوات الغي والبغي والعتو عما نهى الله، فمتى فطمت مِنْ ذلك قدر أنْ لا يتكلم إلا في خير، ويسكت عن الشرِّ خوفاً من مقام الله قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] روي[2] أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»[3] فهو الذي يباشر الإيمان قلبه ويحمد عاقبته لتحققه بحقائق الإيمان التي تُحيه حياة طيبة، وتحشره إلى جنة الله، وأما مَنْ لم يتحقق بها فلا تحمد له / عاقبته ولا يحيى حياة طيبة ويحشر إلى نار الله، ففي الدنيا يفتن بفتنة الذين ظلموا أنفسهم بالإصرار على معاصي الله، وفي الآخرة يحشر معهم إلى النار، ولو قتل في معركة الذين قاموا بدين الله، فإنّ الإنسان يموت على نية خير أو شر، وما تغلّب منهما؛ فالحكم له عند الله، فقد حصل في العرب فتنة صيّرتهم حيارى في دين الله، فاقتتلوا على ذلك، وكلّ منهم يظن أنّه على الحق ومقاتله على الباطل محشوراً إلى نار الله، فما يكون على الحق إلا الذي قاتل لنصرة الحق البيّن من كتاب الله، ثم أنّه أخلص لله فيه إلى أن قُتِلَ أو مات عليه، فهو الناجي مِنَ الفتنة التي تعم العرب كما أخبر بها رسول الله فإنه قال: «**ستكون فتنة تستنظف العرب**» أي

(في الهامش: من شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت) (١١٣/ب)

---

(١) مرّ تخريجه.

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي)

(٣) البخاري (٦١١١)، ومسلم (٤٧).

ما يحذر من الكلام في الفتن

تستأصل الكثير منهم «**قتلاها في النار، وقع اللسان فيها أشد من وقع السيف**» رواه أبو داود[١]. فكان حكم الكثير في قتلاها أنّهم إلى النار لكونهم معلولين بحب العلو في أرض الله؛ فمنهم مَنْ قاتل لأجل مكسبه، ومنهم مَنْ يقاتل لأجل شركه وهو ما وحد الله، ومنهم مَنْ يقاتل لأجل إمارته، وما هو قاصد بها مظهر دين الله، ومنهم مَنْ يُقاتل لأجل غلول يناله في غنيمة، أو سمعه أو رياء، وما جاهد على الإخلاص لله، أما المجاهد نفسه على الإخلاص لله فيما اجتهد مِنَ الكتاب والسُّنّة، وقاتل عليه حتى قُتِلَ فهو شهيد،مأواه جَنّة الله ولا يدرك الإخلاص إلا بصنع الأمور الأربعة ليكون قتاله لإعلاء كلمة الله؛ أما المقاتل لإعلاء كلمة القانون والعادة، فما قتلته إلا جاهلية لتعصبه على أحكام غير الله.

روى[٢] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ستكون فتنة صمّاء بكماء عمياء، اللسان فيها كوقع السيف**»[٣]. رواه أبو داود.

روى[٤] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والفتن فإنَّ اللسان فيها كوقع السيف**» رواه ابن ماجة[٥]، فكمْ مِن قول يقوله المفتي بالقانون والعادة حتى يكفر بسببهما لحبه إياهما وبغضه الحق فيهما وقتاله عليهما، الموجب له نار الله، فلا خلاص منهما اليوم لأحد إلا بالتفرغ الأربعة الأمور حتى ينقطع بها إلى الله،

---

(١) أبو داود (٤٢٦٥)، والترمذي (٢١٧٨)، وابن ماجة (٣٩٦٧)، وأحمد (٢/ ٢١١)، وابن أبي شيبة (٢٧١١٩)، وهو حديث ضعيف، وانظر السلسلة الضعيفة (٣٢٢٩).

(٢) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٣) أبو داود (٤٢٦٤)، والطبراني في الأوسط (٨٧١٧ والحديث ضعيف وانظر الأحاديث الضعيفة للألباني (٢٤٧٩).

(٤)في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٥) ابن ماجة (٣٩٦٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٧٧) والحديث ضعيف جداً.

ومَـنْ لا يفعـل كان من الهالكين بهما لا سيما المصرّ عليهما القائل: هلك الناس حتى صار مِنْ أهلكهم لإنكاره إياهما وهو عامل بهما ولم يحقّ فيهما وعيد الله.

قول: هلك الناس

روى[(١)] أنّـه صـلى الله علـيه وسـلم قـال: «**إذا قال رجل هلَك الناس فهو أهلكهـم**» رواه مسلم[(٢)]، وكذلك إذا كان معجباً بعمله وظن أنّه ناجٍ وأهل زمانه هالكـون لإصـرارهم علـى معاصي الله، فيكون هو أهلكهم؛ لأن البلاء يعم ولا يخفى لتنبيهه صلى الله عليه وسلم عندما قيل له: أنهلك وفينا الصالحون؟ / قال: (١١٤/أ) «**نعـم إذا كثُـر الخبث**»[(٣)] فلا نجاة لأحد مما يحل بأهل الهلاك إلا بالاعتزال عنهم، وبالخوف مِنْ أن يصاب بما يصابون به مِنَ الله، فيظل في اجتهاد بالأمور الأربعة، حتـى توجب له التواضع في الناس لأجل الله، فقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى التواضـع بقـوله: «**إن الله أوحـى إلـيّ أنْ تواضـعوا حتى لا يفخر أحد على أحـد**» رواه مـسلم[(٤)]، فمـا أضـل الـناس الـيوم وأعمـاهم عـن معرفة الحق إلا فخـرهم بأنـسباهم، حتـى ذلـوا بهـا مِـنَ الله، فإنَّ التفاخر بها مِنْ خُلُق الجاهلية الذين على آثار آبائهم الضالين يهرعون، حتى كفروا بأنبياء الله.

الفخر

الطعن في الأنساب

روى[(٥)] أنّـه صـلى الله علـيه وسلم قال: «**أربع في أمتي مِنْ أمر الجاهلية لا يتركـونها الفخـر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت**»[(٦)].

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) مسلم (٢٦٢٣).

(٣) البخاري (٣١٦٨)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٤) مسلم (٢٨٦٥).

(٥) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٦) مسلم (٩٣٤).

وقـال: «الـنائحة إذا لم تـتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال مِنْ قطران ودروع من جرب»[١].

وقـال: «لينـتهين أقـوام يفتخـرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم وليكونن أهون على الله من الجعلان، إن الله اذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب»[٢].

وقـال: «اثنـتان بالـناس همـا بهـم كفـر الطعـن في الإنسان والنياحة على الإنسان» رواه البخاري ومسلم[٣]، فهذا الخُلق الذميم هو الذي صيّر أكثر الناس كفّاراً بنعماء الله؛ فإنّ أحدهم يتعاظم بنسبه ويطعن في نسب غيره احتقاراً له ولا يحـط لذلك بالاً في وعيد الله، وهو في قوله صلى الله عليه وسلم: «أبغض الخلقِ لـدى الله المـتعاظم في نفسه، المختال في مشيته»[٤]، وقال في المحتقر لأخيه المسلم: «بحـسب امـرؤ مِـنَ الـشرّ أن يحقـر أخاه المسلم»[٥] فبهذه الخصلتين يكون كافراً بـنعماء الله فربما يؤد به كفر النعمة إلى كفر الجحود باستيلاء الشك عليه والشرك بـالله، فمـن أمـن مـا ذكر وقع عليه على قدر تعاظمه نفسه واحتقاره مَنْ ظاهره

---

(١) مسلم (٩٣٤).

(٢) الترمـذي (٣٢٧٠ ، ٣٩٥٥ ، ٣٩٥٦)، وأبـو داود (٥١١٦)، وأحمـد (٢/ ٣٦١ ، ٥٢٣)، وعـبد بن حـميد (٧٩٥)، والبيهقي في (١٠/ ٢٣٢)، عن أبي هريرة، وابن حبان في صحيحه (٣٨٢٨) عن ابن عمر والحديث صحيح.

(٣) مسلم (٦٧).

(٤) أحمـد (٢/١١٨)، والـبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩) والحاكم (١/ ٦٠) والحديث صحيح، انظر السلـسلة الـصحيحة (٥٤٣)، ولفظـه: «مـن تعظّـم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان».

(٥) مسلم (٢٥٦٤).

الإسلام والاستسلام لأحكام الله، فمن غوائل الخصلتين فيه ادعاء نسب يتعاظم به في نفسه، أو انتمائه إلى مَنْ يعظم قدره به فيصير مبعداً بذلك من جنة الله.

من ادعى نسباً ليس له

روى[١] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ ادعى إلى غير أبيه أو أنتما إلى غير مواليه فالجنة عليه حرام»** رواه البخاري ومسلم[٢].

من تبرأ من نسبه

روى[٣] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«لا ترغبوا عن آباءكم، ومَنْ رغب عن أبيه فهو كفر»**[٤].

روى[٥] أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«كفر مَنْ تبرء مِنْ نسبه وإن دق أو ادعى نسباً لا يعرف»**[٦]

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) البخاري (٤٣٢٦)، ومسلم (٦٣).

(٣)في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٤) البخاري (٦٣٨٦)، ومسلم (٦٢).

(٥) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٦) الحديث ورد مرفوعاً وموقوفاً، أما مرفوعاً فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو في ابن ماجه (٢٧٤٤) من زوائد ابن القطان، وعند الإمام أحمد (٢/ ٢١٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٧٢)، وسنده حسن.
وكذلك روي مرفوعاً عن أبي بكر الصديق رواه الطبراني في الأوسط (٢٨١٨، ٨٥٧٥)، وفي «الدعاء» (٢١٤٣)، المروزي في «مسند أبي بكر» (٩٠)، والبزار (٧٠):وابن عدي في الكامل (٥/ ٥٤، ١١٥) وهو حديث ضعيف حتى قال البزار: (والذي أسنده فليس بالحجة في الحديث).
ورواه موقوفاً الدارمي (٢٨٦١)، وعبد الرزاق (١٦٣١٥)، وابن أبي شيبة (٢٦١٠٩)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٦٩١)، وهناد في «الزهد» (٨١٤) وسنده صحيح، حتى قال البزار في مسنده (١/ ١٦٨): (وأما الثقات الحفاظ فيوقفونه)، وكذا الدارقطني في العلل رجح وقفه.
فالحديث غير ثابت من حديث أبي بكر، ولكنه صح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وانظر السلسلة الصحيحة (٣٣٧٠).

١١٤/ب روى[١] أنـه صـلى الله عليه وسلم / قال: «إيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليس مِنَ الله في شيء، وإيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين» رواه أبو داود وابن ماجة[٢].

روي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ادعى إلى غير أبيه أو نهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عـدلاً»[٣] فـلا خلاص من هذا الخُلق الذميم الموجب تعاظم النفس والطعن في الأنـساب إلا بالأمـور الأربعـة، مجاهدة بها في الله، فمتى رأى مسلماً دونه في النسب فلا يرى أنّه أعلى منه قدراً لاحتمال أنّه اتقى منه لله، ولو أنّه كان مجوسياً فأسلم فيعتقد أنّه من الذين قيل فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فيكون له بذلك قرباً لدى الله، أو كان نصرانياً فأسلم فيعتقد أنّه مِنَ الذين قيل فيهم: (يا أيها الذين آمنوا) أي بعيسى (اتقوا الله وآمنوا برسوله) أي محمد (يؤتكم كفلين) أي ثوابين (من رحمته ويغفر لكم).

فـذلك منقـبة عظـيمة القـدْر عند الله، وقيل فيهم أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾ [القـصص: ٥٢-٥٤] أو كـان عـبداً مطـيعاً لله ولمالكه فيعتقد أنّ له أجرين كما قال بذلك رسول الله فقد

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) أبـو داود (٢٢٦٣)، والنسائي في المجتبى (٦/ ١٧٩)، وفي الكبرى (٥٦٧٥)، وابن ماجة (٢٧٤٣)، والدارمـي (٢٢٣٨)، والـشافعي في مسنده (١/ ٢٥٨)، والبيهقـي في سننه (٧/ ٤٠٣)، وابن حبان (٤١٠٨)، والحاكم (٢٨١٤) والحديث ضعيف غير ثابت، وانظر الضعيفة (١٤٢٧).

(٣) مسلم (١٣٧٠).

قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي»[1] فلا يعتقد خلاف ما قاله نبيه إلا أشقى الناس عند الله؛ وهو الذي يتعاظم نفسه ويحتقر وطئ النسب أو الصنعة، ولو كان تقياً لله لا سيما إنْ اعتقد في نفسه أنّه اتقى منه، وإنّه كامل الإيمان بالله فيدعي بالكمال فيه أو بكمال العلم به حتى يزعم أنّه مِنْ أهل جنة الله، فيحق عليه وعيد ما قاله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قال أنا مؤمن فهو كافر، ومَنْ قال: هو في الجنة، فهو في النار ومَنْ قال: هو عالم فهو جاهل»[2] فكثير من الجهلاء بالعلم

من ادعى ما ليس له

(١) الحديث مروي عن ابن عمر وأبي هريرة؛ أما عن ابن عمر فرواه الترمذي (٣٢٧٠)، وعبد بن حميد (٧٩٥)، وابن حبان (٣٨٢٨). وهو حديث صحيح.
وأما عن أبي هريرة فرواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥، ٣٩٥٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٨٧)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٣٢)، وفي الشعب (٥١٢٦، ٥١٢٧)، والحديث حسن.
وانظر الأحاديث الصحيحة (٢٨٠٣).

(٢) أما مرفوعاً بهذا اللفظ فلم أجده، وصدق العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٣٥٣): حين قال: من رفعه إلى النبي فقد وهمه الحفاظ لكن ورد شطراً منه مرفوعاً بلفظ (من قال إني عالم فهو جاهل) وفي لفظ (من زعم)، رواه الطبراني في الأوسط (٦٨٤٦)، وفي سنده ليث بن أبي سليم ضعيف، ورواه السهمي في «تاريخ جرجان» (١٢٨)، عن الحسن مرفوعاً وسنده ضعيف، ورواه الحارث بن أسامة (١٧-الزوائد) مرفوعاً بلفظ: «من زعم أنه في الجنة فهو في النار». وسنده ضعيف لا يثبت.
وروي موقوفاً على عمر باللفظ الذي ذكره الشارح كما عند الحارث بن أبي أسامة (١٧-الزوائد)، وعزاه في الكنز (٨٨٦٦) للمسند وضعف سنده، وعزاه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٣)، لأحمد وساق سنده، ولم أعرف في أي كتاب للإمام أحمد فلم أجده في كتبه المطبوعة.
وعزاه ابن كثير كذلك لابن مردويه.
وهو مروي كذلك عن يحيى بن أبي كثير كما في المعجم الصغير (١٧٦٠) وسنده منكر.
وهذا القول استنكره معناه العجلوني في «كشف الخفا» وكذلك الألوسي أبو الثناء في تفسيره «روح المعاني» (١٩/ ١٧٠).وذلك لقول كثيرٍ من الصحابة: إنه عالم.

إذا نالوا شيئاً أمنه ادعوا بدعاوى الكمال فيه وتعاظموا أنفسهم به، حتى يخيّل لهم أنهم أفضل أهل زمانهم عند الله فيعدوا مِنَ الذين يدعون ما ليس لهم فيمقتهم الله، فيكونون بمنزلة مَنْ يدعي إلى غير أبيه أو ما ليس له من مال الله.

(١١٥/أ) روى[١] أنه / صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومَنْ ادعى ما ليس له فليس مِنّا وليتبوء مقعده من النار، ومَنْ رمى رجلاً بالكفر أو قال: يا عدوا الله، وليس كذلك إلا حارّ عليه» رواه البخاري ومسلم[٢] . فمتى أحد تعاظم نفسه فلا بدَّ ما يحتقر مِنْ هو دونه مظهراً بما ظهر به عند خلق الله فيرميه بالجهل، أو أنه عدواً لله أو أنه كافر بالله، فقد حصل ذلك في كثير مِنْ علماء هذا الزمان، ودونوا في ذلك كتباً وجهّل بعضهم بعضاً فيها، فيكلُ أمرهم إلى الله.

الدعوى في العلم افتخاراً

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «يظهرُ الإسلامُ حتى يختلف التجار في البحر، وحتى يخوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقولون مِن أقرأ مِنّا؟ مَنْ أعلم منّا؟ مَنْ أفقه منّا؟ قال: فهل في أولئك مِنْ خير؟» قلنا: الله ورسوله اعلم! قال: «أولئك مِنكم أولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار» رواه الترمذي والبزار[٣].

---

(١) في الأصل بياض قدرته بـ (روي).

(٢) البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).

(٣) هذا الحديث مروي عن عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب؛ أما عن عمر بن الخطاب فرواه البزار (٢٨٣)، والطبراني في الأوسط (٦٢٤٢) وسنده ضعيف.

ورواه عن العباس ابن المبارك في «الزهد» (٤٥٠)، والبزار (١٣٢٣)، وأبو يعلى (٦٦٩٨)، وسنده ضعيف.

فهـذا شأن أهل الدعاوى يتعاظمون ما يعبرونه مِنْ العلم، ويحتقرون تعبيره ممـن هـو دونهـم مظهـر به في خلق الله، فكل مَنْ تعاظم نفسه بعلم أو بنسب أو صـنعة أو بمـال أو بجـاه أو بمنصب فهو مبغوض لدى الله، ولا يكون محبوباً لدى الله؛ إلا المـتفقه بـالعلم؛ الذي يرى أنّه أمقت أهل زمانه، وأن لا أحد أمقت منه، لكـونه عَلِـمْ، أو مـا عمل بعلم الله، ولو عمل[1] بالعلم مهما يعمل، يرى أنّه ما أخلـص فـيه لله فيظل مجاهداً نفسه بالأمور الأربعة، حتى يود أنّه لو كان بقرة أو شـجرة تقطـع ولا يكون بشراً يُسئل عن علم الله، فما أدى أكثر الناس إلى الكفر بـنعماء الله إلا تعـاظمهم أنفـسهم، واحتقارهم مَنْ هو أنزل منهم درجة في خلق الله، حتـى النـساء مـا أداهنّ إلى الكفر بالنعماء إلى تعاظمهن أنفسهن، فطلبن مِنَ الـرجال مـا يفتخـرن بـه، حتى كَلّفنَ الفقير ما لا يطيقه في الله، ولو يحسن إليهنّ أحد مهما يحسن لا يرونه إلا حقيراً لكفرهنّ به نعماء الله.

جحود النعمة

روي في الـصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: **«دخلت في النار فرأيت أكثر أهل النار النساء»**، قيل: يكفرن بالله؟ قال: **«يكفرن العشير، ويكفرن الإحـسان لـو أحـسنتَ إلى إحـداهنَّ الدهـر كُلّه ثم رأت منك شيئاً / قالت: ما** (١١٥/ب)

= ولـه شاهد عن عبد الله بن عباس رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٧-٢٨)، وفيه راوية مجهولة وثقها ابن حبان.

ومـن حسّنه اعتمد على تعدد طرقه كالشيخ ناصر رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٣٠) ومن ضعّفه فقد نظر على كل سندٍ على حدة.

ملاحظـة: الحـديث لـيس عـند الترمـذي، ولم يعـزه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصل إلا إلى البزار.

(١) في الأصل يعمل والصواب ما أثبته.

رأيت منك خيراً قط»[1] فقد سرى خلق النساء اليوم في الرجال، حتى لم يجد صانع الإحسان معهم شاكراً إحسانه لله.

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ولا يشكر الله مَنْ لا يشكر الناس» رواه الترمذي[2]، روى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أعطى عطاء

---

(١) البخاري (٢٩).

(٢) هذا الحديث ورد عن عدّة من الصحابة منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، والأشعث بن قيس وأسامة بن عبيد وابن عمر وابن عباس وعائشة وجرير.

وقد صحّ قطعاً عن أبي هريرة والأشعث والبعض يحسن حديث النعمان وأما عن البقية فلا يثبت، وفي المتون اختلافاً إلا أن العبارة المستشهد بها هي القاسم المشترك بين هذه الروايات. وتفصيل ذلك هو:

- رواية أبو هريرة: رواها أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وأحمد (٢/ ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، والطيالسي (٢٤٩١)، وابن حبان (٣٤٠٧) وابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٧ ، ١٦٥) (٨/ ٣٨٩)، (٩/ ٢٢) وأبو الشيخ في «الأمثال في الحديث» (١٠٩ ، ١١٠)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٠)، والدقائق في «مجلس في رؤية الله» (٢٦٥)، وابن مندة في «الفوائد» (٤٢) والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٤٩٩) والحديث بهذا السند صحيح ثابت.
- وأما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فرواه الترمذي (١٩٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٢ ، ٧٣)، والطبراني في الأوسط (٣٥٨٢)، وأبو يعلى (١١٢٢)، وهناد في «الزهد» (٧٨٠)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٧١)، وفي «اصطناع المعروف» (١٢٩)، والبيهقي في الشعب (٩١٣٢)، والدقاق في «معجم مشايخه» (٤٤) وسنده ضعيف لا يثبت، ومن صححه فلشواهده.
- وأما عن النعمان بن بشير فرواه أحمد (٤/ ٢٧٨ ، ٣٧٥) وابنه في زيادات المسند (٢/ ٢٧٨)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٤)، وفي قضاء الحوائج والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٢)، وفي «قضاء الحوائج» (٧٨، ١١١) وفي «قضاء الحوائج» (١٣٦) (٧٨ ، ١١١) وفي قضاء الحوائج (١٣٦) وأبو الشيخ في «الأمثال» (١١١)، والبغوي في تفسيره (٤٥٨)، والبيهقي في الشعب (٤٤١٩ ، ٩١١٩)، والشهاب في مسنده (٣٧٧)، وهو سند حسن، والبعض يضعفه.

فليجز به إنْ وجَدَ، ومَنْ لم يجد فليثني به، ومَنْ أثنى فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»[1] فلا يمكن صُنع ما ذكر إلا إنسان جاهد نفسه بالأمور الأربعة، حتى أدى بها ما أوجبه عليه الله، فلو أنَّ الناس اليوم امتثلوا لذلك لأحب بعضهم بعضاً، ولما قام لهم عدو يخذلهم في دين الله، لكنهم تعاموا عن ذلك ولم يشكر بعضهم إحسانَ بعض تكبراً وتعظماً لأنفسهم فكفّروا بذلك نعمة الله، فعسى الله يلهمهم الصواب حتى يضعوا الشكر في الإحسان الذي يقصد به وجه الله،

= • وأما عن الأشعث بن قيس فرواه الإمام أحمد (٥/ ٢١١ ، ٢١٢٠) وهناد في الزهد (٧٨١)، وابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٣١)، والشهاب في مسنده (٨٣٠)، وله لفظ آخر عن الأشعث (أشكر الناس لله...) ولفظ: «أشكركم لله» وإسناده صحيح.

• وأما عن أسامة بن عمير رواه الطبراني في الكبير (٥١٩)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٧٧) وفي «اصطناع المعروف» (١٣٥) وفي سنده مجاهيل.

• وأما عن جرير فرواه الطبراني في الكبير (٢٥٠١).

• وأما عن ابن عمر فرواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٧٤).

• وأما عن ابن عباس فرواه الخطيب في تاريخه (٩/ ٤٨٧)، وابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٢٤٧)، (٢٩/ ٢٢٢).

• وأما عن عائشة فرواه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١٠٠-١٠١).

وأما عن جابر فرواه الديلمي (٥٩٦٢).

وكل ذلك غير صحيح، والحديث صحيح من حديث أبي هريرة والنعمان بن بشير والأشعث بن قيس وبقية رواياته إنما تحسن أو تصحح لوجود الشواهد .

وقد ألّف الدمياطي جزءاً في هذا الحديث ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ١٦١٠).

(١) أبو داود (٤٨١٣ ، ٤٨١٤)، والترمذي (٢٠٣٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٥)، وابن حبان (٣٤١٥) وعبد بن حميد (١١٤٧)، وأبو نعيم في الحلية «٦/ ١٤٧»، والخطيب في تاريخه (١٠/ ١١٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٦٤)، والبيهقي في السنن (٦/ ١٨٢)، وفي الشعب (٩١٠٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٨٥)، عن جابر وهو حديث صحيح.

والطبراني في الكبير (٢١١)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٨) عن طلحة وسنده ضعيف.

فـإنهم إذا صـنعوا ذلـك تمكـنوا بـه في أرض الله، وكانت لهم الدولة والعز، ولو حقروا من قيل فيه ولمزهم فيه المنافقون الذين يسخر بهم الله.

لمز أهل الطاعة والاستهزاء بضعفهم

روي عن ابن مسعود أنّه قال: لما نزلت آية الصدقة كُنّا نحمل على ظهورنا، فجـاء رجـل فتصدق بشيء أكثر فقالوا مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله يغـني عـن صـاع هـذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩][1] فـلا يـسخر مـن الـذين صنعوا المعـروف أكثـر أو أقـل إلا منافق القلب وكافر بالله سواء كان المعروف حسياً أو معـنوياً فـواجب الشكر عليه لصانعه في الله، فمن كفره بالاستسخار من صانعه، عُـدّ مِـنَ الـذين قـال الله فـيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: ٣٠].

الاستهزاء

فاستـسخارهم بهـم أداهـم إلى الزعم بأنهم ضلوا عن الحق ويزعمون أنهم علـيه، وأنهم أهدى سبيلاً منهم إلى الله، فهذا الشأن جار، فكل فريقين اختصموا في ربهـم حكمة مِنَ الله، فعلامة الفريق الخبيث المخصوم أن يتخذ الفريق الطيب سخرياً لهم حتى ينسوا بهم ذكر الله / قال تعالى فيهما: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]. (١١٦/أ)

فعلـى قـدر صـبر الـذين أوذوا ممـن يـسخر منهم يكون لهم الفوز في الدنيا والآخـرة، والنعيم في جنة الله، وعلى قَدْرِ أذية الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم

(١) البخاري (١٣٤٩).

لم يتوبوا يكون لهم عذاب جهنم والحريق فيها مَنَ الله، فليحذر الإنسان كلّ الحذَر مِنْ أذية أحد مِنَ المؤمنين بالاستسخار منه صغيراً كان أو كبيراً، فإنه يسخر منه يوم الله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحجرات: ١١] أي الاستسخار والتعيير بالألقاب والاحتقار به للمسلم، فسوف يضرُ بعد ما ينتفع بالإيمان بالله، ومَنْ لم يتب فأولئك هم الظالمون، فإنّ المصر على ذلك يكون ظالماً متحملاً آثاماً كثيرة تحرمه مِن جنّة الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إنّ المستهزئين بالناس يفتح لهم في الآخرة باب من الجنة، فيقال لأحدهم: هلمّ فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة، فيقال: هَلُمَّ فما يأتيه من الإياس»** رواه البيهقي[1].

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ مات همّازاً لمّازاً»** أي غياباً نمّاما **«ملقباً للناس»** أي معيباً في لقبهم أو نسبهم **«كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشدقين»** أي يخطم بسلسلة من شدقيه ويجرّ بها إلى نار الله، رواه ابن ماجة وغيره[2]. فمن لا يحذر مما ذكر حتى تمادى فيه سائت عاقبته من الله.

---

(١) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٨٥)، وفي «الغيبة والنميمة» (١٤٩)، والبيهقي في الشعب (٦٧٥٧) عن الحسن مرسلاً، والحديث غير ثابت ضعفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء والشيخ الألباني في رحمه الله.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٠٦) لابن أبي حاتم وساق سنده والطبراني في الأوسط (٨٨٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٧٤٤) وفي سنده مجهول وانقطاع فالحديث لا يصح.

ومثل كبير ذنبه ذنب ترويع المسلم بغير حق في الله فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروعَ مسلماً»(١) وقال: صلى الله عليه وسلم: «لا تروع المسلم، فإنّ ترويع المسلم ظلم عظيم»(٢) وكم وردت أحاديث في إخافة المسلم وأذيته بأخذ ماله ظلماً أو انتهاك حرمته وتسفيره مِنْ بلده ظلماً كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى / ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٨٦﴾ [البقرة: ٨٤-٨٦] فيتوكد على مَنْ تولى أمر المسلمين أن لا يروّع مسلماً بما ذكر ظلماً، فإنه يشتد عليه العذاب مِنَ الله، لا سيما إن انضاف في أذيته شهادة زور عليه، ولم يتبيّن فيها الأمير فيُحبس فيها في النار حتى يأتي بشهادة صادق فيها، أنها ليست بزور وليس بفاعل فيندم ندامة تشدد عليه العذاب في نار الله، ومِنَ الزور القول في المتشبع بما لم يعط، أعطيت كذا وكذا من زيد أو عمرو، وهو لم يعطه ما شكره عليه في خلق الله ولا

ترويع المسلم

(١١٦/ب)

المتشبع بما لم يعط

= ملاحظة: في كل الروايات جاء لفظ (الشفتين) بدل (الشدقين) إلا في «الدر المنثور» واعتقد أن المؤلف نقل منه.

والحديث لم أجده عند ابن ماجه.

(١) أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢)، والطبراني في «الأوسط» (١٦٧٣)، وهنّاد في «الزهد» (١٣٤٥)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٤٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٧٧) والحديث صحيح.

(٢) رواه البزار (٣٨١٦)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٨٣)، وعزاه في «مجمع الزوائد» للطبراني، والحديث ضعيف غير ثابت.

يكـون ذلك إلا ممن يحب الثناء مِنَ الناس في حاله ليتعاظموا قدره وما هو بواثق بجزاء الله.

روي أنّ امرأة قالت: يا رسول الله إنّ لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبعت مِـنْ زوجـي مـا لم يعطني؟ فقال: «**إن المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبي زور**» رواه البخاري ومـسلم[١]. فمـن لا يراقب الله فيما ذكر بأكاذيب بالأمور الأربعة أداه إلى كثير من الأكاذيب التي تستتر إلا بأكاذيب أكبر منها على زعم التستر وآخرها الفـضائح بهـا في الدنـيا وفي يـوم الله، ومتى لم يبالي صاحبها بفضائح الدنيا فيها تجاهـر بكـبير معاصـي الله كالمكس والربا والزنا والرشوة وبيع الحكم والخيانة به في مـال الله، نـاو ألا يـشتري فـيه ثـم لا يبالـي أن لو يكشف فيه عند خلق الله، فيـبات يـستره ربه في زنا أو ربا فيصبح يتحدث بذلك افتخاراً به، أو عدم مبالاة بوعيد الله.

التحدث بالمعصية

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، والمجاهر أن يعمـل الـرجل بالليل ثـم يـصبح وقـد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البـارحة كـذا وكـذا، وقد بات يستره ربه ويكشف ستر الله عليه**» رواه البخاري ومـسلم[٢]. فـيقاس علـى ذلك كل متجاهر بفسق سواء كان يذم به في الناس أم لا، فـإنَّ العبرة بذم الله فيه وشدة وعيد الله، فإنّ كثيراً مِنَ الكبائر المفسقة لا يذم فـيها الـناس لمـرتكبها وقـد أغـضب فيها الله؛ كقول الإنسان لمملوكه: يا زاني يا مخنّث أو / يا ولد القحبة، ولم يكن كذلك فإنّه لا حدّ فيه إلا يوم يلقى الله. (١/١١٧)

---

(١) البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٢١٣٠).

(٢) البخاري (٥٧٢١)، ومسلم (٢٩٩٠).

الشتم بالزنا

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ قذَف مملوكه بالزنى يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**»(١). فإذا كان ذلك في المملوكة فكيف برمي الحر بالزنى واللواط؟ ورمي أمه بذلك كما هو دأب أهل هذا الزمان، الذين أمنوا وعيد الله فيهم يعلمون وعيد الله وسخطه فيه ولا يرجون وقار الله، ثم إنّهم يوقّرون مَنْ تجاهر به بقولهم: يا سيدنا يا مولانا وهم قد أسخطوا به الله،

النهي عن تسمية الفاسق سيداً

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنّه إنْ لم يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم**» رواه أبو داود(٢)، وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش**»(٣).

ومَن الكبائر المفسّقة الحلف بالأمانة لقوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ حلف بالأمانة فليس مِنّا**» رواه أبو داود بسند صحيح(٤).

---

(١) البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٦٦٠).

(٢) أبو داود (٤٩٧٧)، وأحمد (٥/ ٤١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٣)، وابن المبارك في الزهد (١٨٦)، والحديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة (١٣٨٩).

(٣) بهذا اللفظ رواه أبو يعلى (١٧١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٢٨)، وفي «الغيبة والنميمة» (٩٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٦٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٦٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٧) (٨/ ٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٤٨٨٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٥) والحديث منكر، انظر السلسلة الضعيفة (٥٩٥) وقد ذكر ابن حجر في الإصابة أن طرقه واهية.

وحكم ابن الجوزي عليه بالوضع، والذهبي بالنكارة.

وللحديث لفظ آخر «إن الله يغضب إذا مدح الفاسق» وهو سند كالسند السابق ونفس الرواة.

(٤) أبو داود (٣٢٥٣)، وأحمد (٥/ ٣٥٢)، وابن حبان (٤٣٦٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٣٠)، وفي الشعب (١١١٦)، والبرجلاني في «الكرم والجود» (٩٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٣٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (٩٤ ، ٣٢٥)، والحديث صحيح ثابت.

النهي عن الحلف بالأمانة وبملة غير الإسلام

ومن الكبائر المفسّقة الحلف بغير مِلّة الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بملّة غيرَ الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال» رواه البخاري ومسلم[١].

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حلف: فقال إنّي بريء مِنَ الإسلام فإنْ كان كاذباً فهو كما قال» أي فيكفر وإنْ كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً؛ أي مِنْ كبير الذنب رواه أبو داود[٢]. فهذه الأخلاق الذميمة قد استولت على أهل هذا الزمان ولم يبالوا فيها بوعيد الله، فيظل بعضهم يخاطب بعضاً بها يتضاحكون عليها، ويغتاب بعضهم بعضاً فيها بغير مبالاة بوعيدها، وقد أمنوا فيها مكرَ الله، فكم يسمعون من آيات النهي في الاستسخار والاغتياب ولا ينتهون ولا يراقبون فيها الله؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد شدد الوعيد والإبلاغ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. وقام خطيباً يوم النحر ينذر الناس ذلك ليكونوا خائفين فيه وعيد الله، روى عن أبي بكرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم النحر: «أيّ شهر هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنّه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذو الحجة»؟ قلنا بلا، فقال: «فأي بلد هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنّه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس البلد الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنّه / سيسميه بغير (١١٧/ب) اسمه قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم

الغيبة

(١) البخاري (٦٢٧٦)، ومسلم (١١٠).

(٢) أبو داود (٣٢٥٨)، والنسائي (٢/ ١٤٠)، وابن ماجه (٢١٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٥ ، ٣٥٦)، والحاكم (٤/ ٢٩٨)، عنه البيهقي في السنن (١٠/ ٣٠)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٦٨) والحديث صحيح والبعض يحسنه.

فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم فلعلّ بعض مَنْ يبلغه أن يكون أوعى من بعض مَنْ سمعه - ثم قال - ألا بلغت، ألا بلغت، ألا بلغت» قلنا: نعم قال: **«اللهمَّ أشهد»** رواه البخاري ومسلم[١]، فهذا الإبلاغ فيه الإنذار البليغ بالوعيد الشديد على مَنْ بلغه ولم يتّعظ به في الله، فإنْ لم يجاهد الإنسان نفسه في الله بالأمور الأربعة سعى بالفساد والعلو به في أرض الله، فيظل يسعى في أخذ مال زيد حراماً، وفي قتل عمرو ظلماً، وفي اغتياب مسلم بما ليس فيه بهتاناً، آمناً في ذلك كُلّه مكرَ الله فلا يعد ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«المسلم مَنْ سَلِم المسلمون مِنْ لسانه ويده، والمهاجر من هجرَ ما نهى الله عنه»** رواه البخاري ومسلم[٢]، فإذا كان يوم القيامة أتى مفلساً مِنَ الحسنات، ويطرح عليه سيئات ما ذكر كله ويساق به إلى نار الله، فأشد ما يجده عذاباً عليه عندما يأمر بأكل لحم مَنْ اغتابه حياً فهو يأكله ميتاً منتناً يسيل قيحاً فيصيح منه ويعبس بأشد كراهية، لا يقاس عليها كراهية بعذاب الله، روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال كُله ميتاً كما أكلته حيّاً فيأكله ويكلح ويصيح»** رواه أبو يعلى[٣]. وروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم قال:

---

(١) البخاري (١٦٥٤)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٣) الطبراني في الأوسط (١٦٥٦ ، ٥٨٥٣)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧٨)، وفي «الغيبة»(٣٩)، وابو يعلى في مسنده الكبير كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٧).

والحديث حسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٧٠) ولم يصب، فالحديث ضعيف، ضعفه ابن كثير بقوله (غريب جداً) والحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»، والهيثمي في المجمع (٨/ ١٧٣)، والشيخ ناصر رحمه الله.

«ذكرك أخاك بما يكره»، قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما يقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما يقول فقد بهته»**(١).

وروي في قصة ماعز أنّ رجلاً قال لآخر: انظر على هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجمُ رجمَ الكلبِ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: **«كلا من جيفة هذا الحمار، فما نلتما من عرض هذا الرجل أشد من أكل هذه الجيفة»**(٢).

وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال: **«إنّهما يعذّبان وما يعذّبان في كبير، بلى أنّه كبير؛ أما أحدهما فكان يغتاب أو كان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشِي بالنميمة بين الناس»**(٣).

(١١٨/ ٢) / روي عن عائشة قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني قصيرة، فقال: **«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي لا لأنتن»** ريحه رواه أبو داود والترمذي(٤)، فإذا كان القول في القصير أنّه قصير توجب مزح البحر بالنتن الآيل بصاحبه إنْ لم يتب منه أن يُحشر به نتناً

---

(١) مسلم (٢٥٨٩).

(٢) أبو داود (٤٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٧١٦٤ ، ٧١٦٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٧) وابن حبان (٤٣٩٩)، وعبد الرزاق (١٣٣٤٠)، وابن الجارود في المنتقى (٨١٤)، وأبو يعلى (٦١٤٠)، والدارقطني في سننه (٣/ ١٩٦)، والبيهقي في السنن (٨/ ٢٢٧)، وفي الشعب (٦٧١٢)، والحديث صححه ابن كثير في تفسيره ولم يصب، فالحديث ضعفه الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٣٢٠) والألباني وغيرهم، وعلّة الحديث عبد الرحمن بن الصامت أو الهضاض ابن عم أبي هريرة مجهول – ولعل ابن كثير صحح قصة ماعز، فهي ثابتة.

(٣) البخاري (٢١٣)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) والحديث صحيح.

في نـار الله، فكـيف بغـير من الغيبة التي فيها رميه بالفواحش العظام، وأكل ماله بالـباطل والبهـتان، وسفك دمه بالإثم والعدوان مع الأمن في ذلك مِنْ وعيد الله فقد لعنَ صلى الله عليه وسلم مَنْ أضلّ الأعمى عن طريقه[١]، فكيف بمَنْ أضل أناسـاً كـثيرين عن طريق الله، فأداهم ذلك إلى رمي بعضهم بعضاً بأشياء تشينهم في الدنـيا والآخرة، ويحبسون فيها على جسر جهنم حتى يأتوا بالشهداء أنها حق ولا كردسـوا في نـار الله،فـلا يـنجو مِـنْ ذلـك إلا مَـنْ كـان سالماً مِنَ الفواحش والرمـي بهـا الـبراء مـنها، مِنْ أتى ربه بقلب سليم مِنَ الشك والشرك بالله وهو الـذي يحمي أخاه المسلم مِن الوقيعة فيه شفقة أن يشارك من وقع منه ويقرن معه في نـار الله روى أنّـه صـلى الله علـيه وسلم قال: «**مَنْ حمى مؤمناً مِنْ منافق آذاهُ بعـث الله له يحمي لحمه يوم القيامة مِنْ نار جهنم، ومَنْ رمى مُسلماً بشيء يريد شـينه بـه حبـسه الله علـى جـسر جهـنم حتـى يخرج مما قال**» رواه أبو داود[٢]، وروي أنّـه صلى الله عليه وسلم قـال: «**مَنْ تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته،**

إضلال الأعمى عن الطريق ورمي المسلمين بالسيء

---

(١) أحمـد (١/ ٣٠٧ ، ٣٠٩)، والـبخاري في «الأدب المفـرد» (٨٩٢) وابـن حـبان (٤٤١٧)، والحـاكم (٨٠٥٢)، وأبـو يعلـى (٢٥٣٩)، وعـبد بـن حمـيد (٥٨٩)، والبيهقـي في الـسنن (٨/ ٢٢١)، وفي الـشعب (٥٣٧٣)، والـدقاق في «مجلـس في رؤيـة الله» (٤٧٦)، وابـن عدي في الكامل (٥/ ١١٦) والحربي في غريبه (٢/ ٤٨١) والحديث صحيح والبعض يحسنه.
وانظر الـصحيحة (٣٤٦٢) ولفـظ الحـديث «ملعـون مـن كَمَّـه أعمى عن الطريق»، ومعنى (كَمَّه (أعمَى) والأكمة هو الأعمى.

(٢) أبو داود (٤٨٨٣)، وأحمد (٣/ ٤٤١)، والبخاري في تاريخه (١/ ٣٧٧)،والزهد لابن المبارك(٦٨٦)، والطبرانـي في الكـبير (٢/ ١٩٤/ (٤٣٣)، وأبـو نعـيم في الحلـية (٨/ ١١٨-١٨٩)، والبيهقـي في الشعب (٧٦٣١) وابن أبي الدنيا في «الغيبة» (١١٣)، والدقاق في «مجلس في رؤية الله»(٤ ، ٦٧٠)، والحديث ضعيف غير ثابت.

ومَنْ تتبع عورته فضحه»[1] فمن لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة على قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾[النساء : ١٤٠] كان معدود مِنَ الذين قعدَ معهم وحشر معهم إلى نار الله فأنهم الذين يحبون أنْ تشيع الفاحشة في الذين ينكرون عليهم منكرهم مِنَ الذين آمنوا بآيات الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] وهم الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً مِنَ الدنيا لقولهم بأحكام الآيات ليأكلوا بها ديناً ولا يتبعون ما حكم عليهم فيها الله قال تعالى ناهياً في ذلك: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة:٤١] فممن لا يتقي الله في ذلك بمجاهدته على الأمور الأربعة أستحق الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى / ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾

تشييع الفاحشة في المؤمنين

(١١٨/ب)

(١) الحديث مروي بألفاظ مختلفة عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

- فقد رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد(٤/ ٤٢٠، ٤٢٤)، وابن أبي الدنيا في كتاب «الغيبة» (٢٩)، وأبو يعلي (٧٤٢٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٤٧) وفي الشعب (٦٧٠٤) عن أبي برزة الأسلمي وسنده صحيح.
- ورواه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان (٥٧٦٣) عن ابن عمر وسنده حسن.
- ورواه ابن ماجه (٢٥٤٦)، والطبراني في الكبير (١١٤٤٤)، وفي الأوسط (٣٧٧٨) عن ابن عباس وهو حديث صحيح.
- ورواه أبو يعلى (١٦٧٥)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٦٧) وفي «الغيبة» (٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٦٠، ١١١٩٦) وهو حديث صحيح.
- ورواه أحمد (٥/ ٢٧٩) عن ثوبان وسنده حسن.

فالحديث صحيح وحسن بكل طرقه.

[آل عمران: ٧٧] فمن ذلك أخذ الرشوة في الحكم فيوجب اللعنة في الدنيا ووعيد ما ذكر في آيات الله روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«لعن الله الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما»** رواه أحمد[1].

الرشوة وهدايا الأمراء

ومِنْ ذلك قبول المستعمل على الزكوات الهدية مطلقاً كي لا تشدد على أهلها أو يخفف فإنه يحمل ما أُهدي إليه ويساق به إلى نار الله، روى عن أبي حميد قال: **«أستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ، فقال صلى الله عليه وسلم: ما بال الرجل نستعملُهُ مما ولاّنا الله فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ، فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يُهدى إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحداً منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة إنْ كان بعيراً له رغاءُ وإنْ كان بقرة لها خُوار وإنْ كان شاة تعير ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرةَ إبطه، ثم قال: ألا هل بلغت، قلنا: نعم، قال: اللهمَّ فشهد»**[2].

الهدية على الشفاعة

ومِنْ ذلكَ الهدية على الشفاعة عند الأمير للاستجلاب نفع أو دفع ضر عن المشفع فيه لله، مِنْ أخذها في يرتكب بها إثماً عظيما يتخبط به في نار الله،

---

(١) أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجة (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ١٦٤ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢١٢، ٣٨٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٢٦)، وفي «الصغير» (٥٨)، وابن الجارود في «المنتقى» (٥٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٤٦٦٩)، والبيهقي في السنن (١٠/١٣٨)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو حديث صحيح.
وقد ورد عن أبي هريرة وعائشة وثوبان وأم سلمة وعبد الرحمن بن عوف.
ولا يصح إلا عن أبي هريرة وبقية الروايات كلها ضعيفة غير ثابتة.

(٢) البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (١٨٣٢).

روى أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ شَفَعَ لأخيه شفاعةً فأهدى له هديةً فقبلها فقَدْ أتى باباً مِنْ أبوابِ الرِّبا**» رواه أبو داود[(١)].

وروي عن ابن مسعود قال: «**السُّحَت أن يطلب الرجل الحاجة فتقضي له فيهدي له فيقبلها**»[(٢)].

وروي عن مسروق قال: (مِنْ ردَّ على مسلم مظلمةً فجازاه عليها قليلاً أو كثيراً فهو سحت، قلت: يا أبا الرحمن ما كُنّا نرى السحتَ إلا الرشوة في الحكم، قال: ذلك كُفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٣)] [المائدة: ٤٤]، فكان أصحاب رسول الله يتعاظمون ذنب الرشوة والهدية في الشفاعة على حكم الحق في الله ، فكيف بحكم الباطل والشفاعة فيه، فما هو إلا أكفر الكفر بالله، ومَنْ ذلك الغلول في الغنيمة أو الزكاة والإستيثار بالفيء ويحرم منه مستحقيه في قسمة الله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

الغلول

وروي عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر انطلقنا إلى وادٍ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدٌ لهُ فلما نزلنا الوادي، رُمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا هنيئاً لهُ بالشهادة يا رسول الله، فقال: «**كلا والذي نفسي بيده إنّ الشملة التي أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم إنها لتشتعلُ عليه ناراً**» ففزع الناس فجاء

---

(١) أبو داود (٣٥٤١)، وأحمد (٥/ ٢٦١)، والطبراني في الكبير (٧٩٢٨)، وفي «الدعاء» (٢١٠٧)، والروياني في مسنده (١٢٢٨)، وحسّنه الألباني كما في الصحيحة (٣٤٦٥).

(٢) ابن أبي شيبة (٢٠٨٦٨)، وعبد الرزاق (١٤٦٦٦) وابن سعد في الطبقات (٦/ ٨١).

(٣) ابن أبي شيبة (٢١٩٥٢)، والطبراني في الكبير (٩٠٩٨)، وفي «الدعاء»(٢١٠٥)، وابو يعلى (٥٢٦٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٣٩)، وفي الشعب (٥٥٠٤).

رجل بشراك أو شراكين ، فقال: يا رسول الله أصبت هذا يوم خيبر فقال: «**شراك أو شراكين مِنْ نار**» رواه البخاري ومسلم[١].

(١١٩/أ) ومن ذلك / معصية إمام المسلمين فيما أمر به من الحق فإنها من الكبائر

طاعة الأمراء

وتوجب الإفساد في أرض الله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ١٣٢] فمن خالف في ذلك فقد شقَّ عصى المسلمين فأستحق عذاب الله، فالواجب عليه أنْ يتقي الله ما استطاعه فيما أمر به الإمام مِنَ الحق الله قال: تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن : ١٦] هذا في الحق أما في الباطل فلا سمعَ ولا طاعة إلا لخشية ضرر فعلى قدر الضرورة نطيعه ولا أثم عليه، إنشاء الله أما الزائد على الضرورة ففيه إثم عظيم، وهو من التعاون على الإثم والعدوان يوجب عقاب الله روى عن ابن عمر أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أنْ يؤمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة**» رواه البخاري ومسلم[٢].

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**الغزو غزوان ، فأما من غزا ابتغاء وجه الله، وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك فإنّ نومة ونبهته أجر كُلّه وأما مَنْ غزا فخراً وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فلن يرجع بالكفاف**» رواه أبو داود والنسائي.[٣] فلا يستقيم الجهاد الأكبر والأصغر إلا

---

(١) البخاري (٦٣٢٩)، ومسلم (١١٥).

(٢) البخاري (٦٧٢٥)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) أبو داود (٢٥١٥)، والنسائي في المجتبى (٦/ ٤٩) (٧/ ١٥٥)، وفي الكبرى (٤٣٩٧ ، ٧٨١٨ ، ٨٧٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٤)، والدارمي (٢٤١٧)، وعبد بن حميد (١٠٩) والطبراني في الكبير

بإطاعة إمام المؤمنين بالله أما مع المشاقة له في الحق الذي أمر به فلا ثواب فيهما للمشاقق لشقه عصى المسلمين وإعراضه عن حكم الله قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥] فما مِنْ قوم اجتمعوا على أمرهم بالسمع والطاعة وما شاققوه في الحق إلا نظر الله إليهم بنظرة الرضى وكانوا غالبين على أعداء الله قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فما مِنْ قوم صنعوا ذلك وتواصوا بالصبر عليه إلا فازوا بخير الدنيا والآخرة وكان مأواهم جنة الله، وما مِنْ قوم لم يصنعوه لا ومزقتهم العداوة والبغضاء وكانوا على شفا حفرة مِنْ نار الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] أي بخزي في الدنيا وعذاب يوم الله لكن مَنْ عمل منهم بخاصّة نفسه وأطاع أميرهم على كره منه فيما طلبه منه الله عليه لا يصيبه ما يصيبهم وأدخل في سعة رحمة الله ويشتد العذاب على من خرج من طاعة أميرهم/ ولو شبراً يخل بولايته عليهم إلا إنْ كَفَر؛ فالخروج عليه واجب (١١٩/ب) قدر الطاعة في الله، وما سوى الكفر فلا يجوز الخروج على والي أمرهم ولو جار عليهم بأمور تُغْضب الله، روى أنّه صلى الله عليه وسلم: «**قال مَن كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنّه مَنْ خرج من السلطان شبراً ماتت ميتة جاهلية**» رواه البخاري ومسلم[1].

الخروج عن الجماعة

=(٢٠/ ٩١/ ١٧٦)، وفي «مسند الشاميين» (١١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٢٠)، والحاكم (٢٤٣٥)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٨) وفي الشعب (٤٢٦٥) والحديث مداره بين الحسن والضعف.

(١) البخاري (٦٦٤٥)، ومسلم (١٨٤٩).

وروي عن حذيفة أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**تكون أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في صور الإنس**» وفي رواية لأنس قلت: كيف أصنع إنْ أدركْتُ قال: «**تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وإن أخذ مالك أي ظلماً فاسمع وأطع**» رواه مسلم[١] ، فقد أجمعت الأمة على حرمة الخروج على إمام المسلمين ولو جار، إلا أنْ يظهر منه كفر مجمع على تكفيره بالله، فما دام يقبل التأويل فلا يكّفر به والخروج عليه حرام يوجب شقَّ عصى المؤمنين بالله، فمتى خرج عليه أحد يريد شَقّ عصاهم وجب عليهم قتله حداً في الله، وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه**» رواه مسلم[٢].

لكن الواجب عليهم أنْ لا يعينوا المتولي عليهم على الإثم والعدوان، وإنْ يردوه عن ظلمهِ ما استطاعوا في الله، فمن فَعل ذلك سَلِمَ مما يصيب مِنْ أعانه على ظلمه حين ما تحلُّ عليهم قارعة الله قال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] فإنّ الله مِنْ عادته أن يمهل للظالمين إلى أنْ يشتدَّ ظلمهم ثم يأخذهم بشدةّ عقابه على قدر ما علو وعتوا عما نهى الله، ولو شاء لأنزل عليهم حين ظلمهم عذاب من السماء أو صنف مِنَ الأرض لكنه يمهلهم إلى أجل مسمّى كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] أي يسلّط بعضهم

ما جاء في الفتن

(١) مسلم (١٨٤٧).

(٢) مسلم (١٨٥٢).

علـى بعـضٍ بالبأسـاء والضراء على قدر جورهم، ثم يفتح عليهم باباً ذا عذابٍ شـديد مؤيس مِنْ رحمة الله ، فما ينجو مِنْ شرهم إلا الذي أنكر ولو بقلبه ، وإذْ لم يـستطع بلسانه ويده كرامة له مِنَ الله، فما مِنْ أمر فيه هلاك أو نجاةٌ منه إلا قد بينه لـنا رسـول الله، روى عـن ابـن عمرو قال: كنا في سفرٍ فنزلنا فنادى مُنادي رسـول الله صـلى الله عليه وسلم الصلاة جامعةً فاجتمعنا فقال: «**أنّه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أنْ يدلَّ أمته على خيرِ ما يعلمه لهم وينذرهم عن شرٍّ ما يعلمـه لهـم، وإنَّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب أخرها بلاءُ وأمورٌ تنكـرونها وتجـيءُ بالفتنة فيقول المؤمنُ: هذه مهلكة، هذه مهلكة فمنْ أحبَّ / أن يزحزح عن النّار ويدخَلَ جنَّةَ فلتأتِهِ منيته وهو مؤمنٌ بالله واليوم الآخر وليحب أن يأتـي إلى الـناس الـذي يحـب أن يؤتى إليه ومن بايعَ إماماً فأعطاه صفقة يدهِ وثمـرة قلـبه فليطعهُ إنْ استطاع، فإنْ جاء رجل إنْ ينازعه فأضربوا عنق الآخر**» (١٢٠/أ) رواه مـسلم[(١)]، فقـد دلّـنا نبيـنا صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه نجاتنا، وما يقربنا لـدى الله فأبـى الكـثير مِنّا ذلك بأمور خالفت السَّلف الصالح، وكانوا ينكرونها بألسنتهم وأيديهم وقلوبهم فحلَّ بها البلاء مِنْ الله، فما عرف وبالها إلا مَنْ باشرَ الإيمـان قلـبه حتـى قال: «هذه مهلكة، هذه مهلكة»، شفقة منه على نفسه خاصة وعلـى الـناس عامـة، كمـا أمره الله فهو الذي يزحزح عن النار لخوفه مقام ربه، ويـدخل جَـنّة الله فيعـيش علـى مـراقبة المـوت أنْ يأتـيه وهو مؤمن بالله واليوم الآخـر، يـشهد له حبّ رسوله والنصح للمؤمنين بالله، فيحب لهم ما يحب لنفسه مِـنْ كـل خـير يرضـى الله، فهـذا الذي إذا بايع إمام المسلمين بصفقة يده وثمرة إيمـان قلـبه أعطاه النصح في السمع والطاعة له في الله، فلا يخون مع مَنْ يخون في

---

(١) مسلم (١٨٤٤).

الخروج على إمامه، بل يبذل جهده في قتال مَنْ يخرج عليه ولو كان أقوى منه مخرجاً ورَجِلاً، خائنين في أمانة الله لكنَّ الناس اليوم في معزل عن هذا البيان، وما هم إلا في منزلة التي نقضت غزلها حمقاً وجهلاً بالله قال الله ناهياً عن التمثل بها: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾أي عهودكم،﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] أي أقوى مظهراً بالدنيا لا بالدين فيهرع إليها القتال مِنْ ضعف بالدين ولو قوياً بدين الله ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل: ٩٢] فمنْ كان اختلافه بالكتاب والسُنّة كان له النصر والعز في الدنيا والنجاة يوم البيان مِنَ الله، ومَنْ كان اختلافه على الكتاب والسُنّة كان له الخذلان والذل في الدنيا والهلاك يومَ يخصم في بيان الله، فما يكون الاختلاف المخصوم أهله إلا بفتنة حُبّ الدنيا التي بسببه يصبح الرجل كافراً بعد ما كان مؤمناً بالله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض مِنَ الدنيا قليل**» رواه مسلم[١]، ومن أراد أن يكون من الفرقة الناجية فليزم العبادة على تقوى الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**» رواه مسلم[٢] فلا يتمكّن أحد بلزوم العبادة اليوم إلا بإجابته[٣] للأمور الأربعة

---

(١) مسلم (١١٨).

(٢) مسلم (٢٩٤٨).

(٣) كتبت في المخطوط (بإجتباك).

الموجبة للإخلاص في عبادة الله فهو الذي تُكفِّر له سيئات ما يُعرض له من فتنة الأهل والمال والجار مِنْ فتنة الخاصة الذين ظلموا أنفسهم بمعاصي الله، روى عن حذيفة أن عمر قال: أيكم يحفظ/ قول رسول الله في الفتن؟قلت: أنا ، قال: (١٢٠/ب) هات إنّك عليه لجرئ قال: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» فقال: ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج كموج البحر، قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين إنّ بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيفتح أم يُكسَر، قلت: بل يُكسر، قال: ذلك أجدر أن لا يغلق ، فقلت لحذيفة : أكان عمر يعلم مَنْ الباب كما يعلم أن دون غدا الليلة إنّي حدثته حديثاً ليس بالأغاليط فهبنا نسأله من الباب فقلنا لمسروق إسئله فسأله فقال: عمر، رواه مسلم[١].

فمن بعد موت عمر رضي الله عنه وقعت الفتن العظام، وما زالت في زيادة إلى أن تملك الملك الجبابرة الساعون بالفساد في أرض الله، فكان قتالهم على الملك الذي قتيله شرٌّ قتيل، لقوله صلى الله عليه وسلم : «**شر قتيل قتيل صفين أحدهما يطلب الملك**»رواه الطبراني[٢]، فكان خير الناس فيها مَنْ لزم بيته ولم يسع فيها إلا لضرورة رخصته لله، روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّها ستكونُ فتنة القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي خير مِنَ الساعي إليها ألا إنها إذا نزلت ودحت، أي اتسعت مَنْ كان له إبل فليلحق بإبله ومَنْ كان له أرض فليلحق بأرضه، ومَنْ كانت له غنم فليلحق بغنمه**» فقال رجل : يا رسول الله أرأيت مَنْ كانا لا له الإبل ولا الغنم ولا الأرض، قال: «**يعمد إلى سيفه فيدقه**

---

(١) البخاري (١٣٦٨)، ومسلم (١٤٤).

(٢) الطبراني في الأوسط (٦٤٦٩)، وفي سنده مجهول فالحديث ضعيف.

بحجر ثم ينجو إن استطاع النجاة، اللهمّ قد بلّغت، اللهمّ قد بلغت، اللهمّ قد بلغت» فقال رجل : يا رسول الله إنْ أكرهت حتى ينطلق إلى أحد الصفين فيضربني رجل بسيفه فيقتلني فقال: «يبوء بإثمه وإثمك فيكون مِنْ أصحاب النار» رواه مسلم(١).

تعظيم قتل النفس

روى عن سعد قلت: يا رسول الله إن مضى على بيتي فبسط يده ليقتلني قال: «كُنْ كخير ابني آدم، وتلي هذه الآية ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾(٢) [المائدة: ٢٧] فمن خافَ الله حقاً يكف يده عن القتال في الفتن إلا لأجل قتال تكون به كلمة الله هي العليا بإظهار دين الله، وأما لأجل قتال تكون به كلمة القانون والعادة هي العليا فلا؛ لأنه يجرُّ إلى نار الله فإنّ أهله يرتكبون الكبائر وهم ينهون عن الصغائر ويتساءلون عنها لعلّه مظهر الدنيا وتملكهم بها رقاب خلق الله، فقد ظهر أُناس كثير قَبلُ من قبل المشرق مِنْ عرب وعجم كانوا على نحو ذلك، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ويزعمون أنّه دين الله، فمن أخلص في قتاله لأجل أنْ تكون كلمة الله هي العليا عُدَّ مِنَ الذين بشّربهم رسول الله، فإنّه قال: «يخرج ناس من قبل المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه» رواه ابن ماجة والطبراني(٣).

---

(١) مسلم (٢٨٨٧).

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه أبو داود (٤٢٥٧) ولكن ورد دون ذكر الآية عند الترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم والحديث باللفظين صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٨)، والطبراني في الأوسط (٢٨٥)، والبزار في مسنده (٣٧٨٤)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (٢٨٥)، والحديث فيه عمرو بن جابر وابن لهيعة وكلاهما ضعيف ضعفه البوصيري والشيخ ناصر وغيرهم.

وروي أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم قال: «**إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتـي قـوم مـنْ قبل المشرق ومعهم رايات سود أي سوددية العز فيسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون/ ما سئلوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى** (١٢١/أ) **رجـل مِنْ أهل بيتي يملك الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملؤها جوراً وظلماً فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج فإنها رايات هـدى**» رواه ابن ماجة والحاكم[١]، وروي أنّ علياً رضي الله عنه قال: منّا المهدي يـا رسـول الله أم مِـنْ غيرنـا؟، قـال: «**مِـنّا ، يختـم الله بـنا ، كمـا بـنا فتح، وبنا يـستنقذون مِنَ الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتن كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك**» رواه الطبراني[٢].

ولـه في «الأوسـط» عـن ابن عمر: أنّه صلى الله عليه وسلم أخذ بيده علي فقـال: «**سـيخرج مِنْ صُلبِ هذا فتى يملئ الأرض قسطاً وعدلاً فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فإنّه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي**»[٣].

---

(١) رواه ابـن ماجـه (٤٠٨٢، ٤٠٨٤)، وابـن أبـي شيبة (٣٧٧٢٧)، والطبراني في الأوسط (٥٦٩٩)، والبـزار (١٤٩١)، وابـن عـدي في الكامل (٤/٢٢٨)، والحاكم (٨٤٣٤)، والأصبهاني في «دلائل النـبوة» (٣٢٧) والعقيلـي في الـضعفاء (٤/ ٣٨٠)، والحديث منكر،متفق على ضعفه وانظر «المنار المنيف» لابن القيم وابن حجر في «لسان الميزان» والألباني في السلسلة الضعيفة (٥٢٠٣).

(٢) الطبرانـي في الأوسـط (١٥٧)، وفي سـنده عمـر بـن جابـر رمـي بالكذب. ورواه نعيم بن حماد في «الفـتن» (١٠٨٩) بـسند مرسـلاً عـن مكحول ورواه كذلك (١٠٩٠) وفيه ابن لهيعة، والحديث لا يصح فهو ضعيف جداً.

(٣) الطبرانـي في الأوسـط (٤١٣٠)، وفي سنده ابن لهيعة، واستنكر معناه الهيثمي في المجمع (٧/ ٦١٧). لأن في متن الحديث أن النبي ﷺ أخذ بيد العباس ويد علي ثم ذكر أن النبي لم يكن يستقبل أحداً في وجهه بشيء يكرهه خاصة عمه العباس.

وله في «الكبير» عن ابن مسعود، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج رجل من أهل بيتي يوافي أسمه أسمي وخلقه خلقي»[١] الحديث.

وفي رواية له أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «والذي بعثني بالحق أنّه منهما يعني الحسن والحسين مهدي الأمة إذا صارت الدنيا هراجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السُبل وغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم ولا صغير يوقر كبير، بعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوب غلقا، يقوم بالدين»[٢].

وفي أخرى : « كما قمت في أول الزمان ويملؤ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٣].

وفي رواية عن ابن أبي شيبة أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تمضي الأيام والليالي حتى يأتي مِنّا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن ولم يلبسها»[٤] إلى آخر ما ذكر في الأحاديث التي قبله.

وفي رواية لأبي نعيم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: « في حديث المهدي : يقاتل على سُنتي كما قاتلت أنا على الوحي»[١].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٢٢٩)، وابن حبان (١٨٧٩ ، ٦٨٢٥) وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في «الفتن» (٥٥٦)، والحديث ضعيف بهذا اللفظ وإنما صح بلفظ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ملأ الأرض...» رواه أصحاب السنن وأحمد.

(٢) الطبراني في الكبير (٢٦٧٥)، وفي الأوسط (٦٥٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٣٠) والحديث موضوع. وعلامة الوضع عليه ظاهرة.

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٣٧٦٤١) ومن طريقه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» (١٨٩٠) عن ابن عباس موقوفاً وليس مرفوعاً، وكذا رواه ابن عساكر في تاريخه (٣٢/ ٢٨٢).

وفي رواية للحاكم أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنّه يكون بالناس بلاء شديد مِن سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم**» إلى أن قال: «**لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته ولا السماء شيئاً من قطرها إلى صبته**»[٢] الحديث.

روى أحمد وأبو داود والترمذي قال: حسن صحيح أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل مِنْ أهل بيتي يواطئ اسمه أسمي واسم أبيه أسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**»[٣].

والأحاديث في المهدي كثيرة وقد آن ظهوره بعلامة من قام اليوم بالقتال المطهر دين الله، فإنّ العرب قد تؤدبت بمطر الدنيا ونرجوا التمكين به إلى أن يقوم به المهدي ولي الله.

روى عن سالم بن عبد الله بن عمر أنّه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وما أركبكم الكبيرة سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنّ الفتنة تجيء من هاهنا وأومئ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى/** (١٢١/ب)

---

(١) أورده نعيم في «الفتن» (١٠٩٢) عن عائشة مرفوعاً والحديث ضعيف فيه رجل مجهول، ونعيم بن حماد فيه كلام.

(٢) الحاكم ٨٤٣٨) وضعفه الذهبي بقوله: إسناده مظلم.

(٣) أبو داود (٤٢٨٢)، وهو حديث صحيح.

ورواه باختصار الترمذي (٢٢٣٠)، وأحمد (١/ ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٣٠ ، ٤٤٨) والطبراني في الكبير (١٠٢١٨)، والبزار (١٨٠٤) والقطيعي في «جزء الألف دينار» (١٣١) والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٣٢٩) والحديث صحيح مختصراً.

الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] » رواه مسلم[١].

ولهما عن المقداد قلت يا رسول الله: أرايت إنْ لقيني رجل من الكفار فأقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله أأقتله؟ قال: «**لا تقتله، فإنك إنْ قتلته فإنّه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قالتها**»[٢].

ولهما عن أسامة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجل منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله**»، قلت: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً قال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله**»، فما زال يكررها حتى تمنيّت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.[٣]

و في رواية أنّه قال: «**أفلا شققت عن قلبه**»[٤].

ولمسلم أنّه قال: يا رسول الله أستغفر الله لي، قال: « **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة فجعل لا يزيد على أن يقول: فكيف تصنع بلا إله**

---

(١) مسلم (٢٩٠٥).

(٢) البخاري (٣٧٩٤)، ومسلم (٩٥).

(٣) البخاري (٤٠٢١)، ومسلم (٩٦).

(٤) مسلم (٩٦).

إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»[١].

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يزال العبد في فُسحة مِنْ دينه مالم يصب دماً حراماً**» رواه البخاري[٢]. فمن راقب الله في قتاله بالأمور الأربعة تحرى فيه أنْ لا يقاتل إلا مَنْ تحقق عنده أنّه كافر بالله، فمتى علم إسلامه كفّ عنه خشية إنْ قتله أنْ تأتي كلمة الإخلاص تحاجّه يوم الله، فإنّ خصم بها حقّ عليه وعيد ما قال الله ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣] فكم مِنْ أحاديث وردت فيمن قتل مؤمناً متعمداً تشديداً عليه بوعيد آية الله؟ فما أحد باشر الإيمان قلبه إلا أشتد خوفه مِنْ أن يقاتل مؤمناً بالله بل ولا يحمل عليه سلاحاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا**» رواه مسلم[٣].

تكثير السواد في الفتن

فإذا كانت الفتنة بين المسلمين فالواجب عليهم أن يحكموا فيهم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ - أي رجعت إلى حكم الله﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩] أي الحاكمين بالحق القائمين بالقسط شهداء لله فمتى تحقق في الفئتين البغي وكل منهما باغ على الآخر، وجب الاعتزال عنهما والصبر فيما اضطروا إليه منهم إلى أنْ يفرّج الله بموت أو بمطهر دين الله، فإنْ غصبوا أحداً

---

(١) مسلم (٩٧).

(٢) البخاري (٦٤٦٩).

(٣) مسلم (١٠١) وأخرج الشطر الأول منه البخاري (٦٤٨٠).

(١٢٢/أ) علـى القـتال فـلا عليه جناح إذا هو كثر سوادهم وبغض / بغيهم ولا يرضى به ولا يـتابع فـيه خـوفاً مِـنْ الله فلـو قتل في سوادهـم عُدّ من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً إلى الفرار منهم إلى طائفة قائمة بالحق لله، أما إذا قـدر علـى الفرار إليها فلا عذرَ له، وكلٌ أبصر بنفسه فما حكم الله عليه، أما المتابع للطائفة الباغية، الراضي ببغيهم فهو منهم محشوراً معهم إلى نار الله.

روى عـن محمـد بـن عـبد الرحمن قال: قطع على أهل المدينة بعث فأكتتب فلقيت عكـرمة فأخـبرته فنهانـي أشد نهياً وقال: أخبرني ابن عباس أنّ ناساً مِنَ المسلمين كانوا مع المشركين يكثّرون سوادهم، يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتل أو يـضرب فأنـزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1] [النساء: ٩٧-٩٩]» فُعلم مِنَ الآيـة أنّ الهجرة واجبة من أرض المشركين إلى أرض طائفة قائمة بالحق شهداء به لله، هذا على المستطيع، أما على المستضعفين ففيه التفصيل الذي ذكر في آية الله.

العقوق

ومـن الكبائر الموجبة للنار عقوق الوالدين، فمن عقهما فلا يقبل منه هجرة ولا جهـاد أكبر ولا أصغر في الله قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمـان: ١٤] وروي عـن ابن عمر قال: أقبل رجل إلي النبي صلى الله عليه وسلم قـال: أبايعـك علـى الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر مِنَ الله قال: «**هل من والديك**

(١) البخاري (٤٣٢٠).

حي؟» قال: نعم، كلاهما قال: «**فتبتغي الأجر مِنَ الله؟**» قال : نعم قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»رواه البخاري ومسلم[١]، فعُلِمَ مِنَ الآية والحديث أنّ رضى الوالدين أو أحدهما هو مِنْ رضى الله. فلا شيء مقدم بعد رضى الله إلا رضاهما في طاعة الله، أما في المعصية فلا، فإنه لا طاعة لمخلوق في معاصي الله، إنما الطاعة في المعروف الذي يرتضيه الله، فرضاهما مقدم على الهجرة والجهاد في سبيل الله، فلا خروج إلى الجهاد إلا بإذنهما إلا إذا تعيّن عليه، ووجد من يكفيهما مؤنه وخدمة فلا عليه إذا عصاهما جناح من الله.

روى عن معاوية بن جاهمة أنّه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وجئتك أستشيرك فقال: «**فهل لك مِنْ أم؟**» قال: نعم، قال: «**فالزمها/ فالجنة عند رجلها**» رواه أحمد والنسائي[٢]. (١٢٢-ب)

وروي عن أبي هريرة ، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله مَنْ أحق الناس بصحبتي قال: «**أمّك**»، قال ثم مَنْ ؟ قال : «**أمك**» قال ثم مَنْ؟ قال: «**أمك**»، قال ثم مَنْ ؟ قال: «**أباك**» رواه البخاري ومسلم[٣].

والمراد بالصحبة ولو كانا كافرين بقيد المعروف كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى

(١) مسلم (٢٥٤٩) وهو من أفراده.

(٢) رواه النسائي في المجتبى (٦/ ١١)، وفي الكبرى (٤٣١٢)، وابن ماجه (٢٧٨١)، وأحمد (٣/ ٤٢٩)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٧٤) (٧/ ٣٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣١٧) والطبراني في الكبير (٢٢٠٢، ٤٢١١)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٦)، وفي الشعب (٧٨٣٣)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٣٢٤) والحديث حسنه الشيخ ناصر في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٣) ولكن الحافظ ابن حجر أعلّه في الفتح (٦/ ١٤٠) وقبله الدارقطني في العلل (٧/ ٧٤-٧٨).

(٣) البخاري (٥٦٢٦)، ومسلم (٢٥٤٨).

ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥] أي بمعروف الخدمة والنفقة عليهما والنصح لهما في الله، ولا يتبعهما في شيء مما هو عليه مِنْ معاصي الله، إنّما الواجب عليه إتباع مَنْ دعاه بمعروف القول والعمل إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: ١٥] فمَنْ خالف قيود ممن ذكر فما هو إلا تابع هواه وهوى مَنْ طغى وعتى وتجبر وتكبّر على أحكام الله، لا سيما المتبع هواه في شهر رمضان أو في عقوق الوالدين أو في تركه الصلاة على نبي الله حين ما يذكر بامتثال أمر أو نهي منكر، ولم يمتثله في الله.

روى عن أنس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى على المنبر فخطب الناس فقال: «**آمين**» ثلاث مرات، فقالوا: يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم : «**جاءني جبريل فقال رغم أنف رجل أدرك شهر رمضان فانسلخ فلم يغفر له، فقلت: آمين، وقال: رَغَم أنف رجل أدرك أبويه ولم يغفر له، فقلت: آمين، وقال: رغم أنف رجل ذكرت عنده ولم يصل عليك، فقلت:آمين**» رواه مسلم[1]، فمن أكبر الكبائر التي يعذب بها المتجبّر بالطاغوت ما ذكر في قوله صلى الله عليه وسلم : «**الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، واليمين الغموس**» رواه البخاري[2]. فالغالب أن مَنْ سعى في الأرض بالجبروت والتكبّر لا يكون ما ذكر في الحديث من الأربعة الخصال إلا وصفه المبعد مِنَ الله فيكون بها قاطعاً مِن أمر الله بإيصاله، وواصلاً مِنْ أمر يقطعه الله، فيعدُّ ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ

---

(١) مسلم (٢٥٥١).

(٢) البخاري (٦٦٧٥).

﴿فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ [البقرة:٢٧] وهي النار التي وقودها الناس والحجارة، ويجعل المرتابون في أسفل درك منها لكونهم أشر من الكفار بالله، فمتى تمكّن الارتياب في قلب منافق كان قاطعاً لرحمه القريب مِنْ أب وأم وأخ وأخت وابن وبنت، وما تناسل منهم ولو البعض منهم، ولم يراقب فيهم الله وكان قاطعاً لرحمة البعيد مِنْ صهر وقرابة أم وما تناسل منهم، ولو البعض منهم غير خائف فيهم وعيد عليه، والوعيد في قطعهم على قدر/ ما أصابهم، لا سيما إذا هو علم بقوله صلى الله عليه وسلم : «إنّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع مَنْ قطعك، قالت: بلى، قال: فذلك لك». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقروا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد: ٢٢]» رواه البخاري ومسلم[1]، فمتى كان قاطعاً لرحمه كان لغيرهم أقطع وأقطع، وكان كثير الأذية على المؤمنين بالله لا سيما الجار فإنّ أذيته له أكثر ولا يؤمن شروره وربما يؤدّ به ذلك إلى سلب الإيمان بالله لقوله صلى الله عليه وسلم : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! ، قيل مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه أي شروره» رواه البخاري ومسلم[2]، فعلامة ثبات الإيمان في القلب الإحسان إلى الجار لقوله صلى الله عليه وسلم : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم

القطيعة

(١٢٣/أ)

أذى الجار

(١) البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٢) البخاري (٥٦٧٠)، ومسلم (٤٦).

الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» رواه مسلم[١]. فمن لا يجاهد بالأمور الأربعة نفسه على أن يخلص في عبادة الله كان فاسد العبادة لله ولا تصح عبادة الله إلا بالإحسان فيمن أمر الله بوصفه فيه بقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء : ٣٦] فمَنْ صَنَع فيهم الإحسان امتثالا لأوامر ربه حسَنت له عبادة الله فعلى قدر إحسانه عليهم تكون خيريته في الناس وعند الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» رواه الترمذي[٢] وبالضدّ يكون الشرير فإنَ مَن صاحبه لا يرى منه خيراً تجد عاقبته في خلق الله، فمتى صنع معه خير أمن عليه به حتى يودي أن لا يكون قلبه منّة في الله فإن مِنّة الرجال أثقل من الجبال ، وهي تحبط الأعمال التي يقصد بها وجه الله ، وتكثر بالمنّة الأذية حتى ينزع بها الرحمة ممن مَنّ بمعروفه على أحدٍ في الله، فإذا نزعت بها الرحمة لا يبالي بجوع جاره ويدعه جائعاً وهو شبعان بكثير نعماء الله فيضعف بذلك

---

(١) مسلم (٤٨).

(٢) الترمذي (١٩٤٤)، وأحمد (٢/ ١٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥)، وابن المبارك في «الجهاد» (٢١٦١)، وفي «البر والصلة» (٢١٨)، والدارمي (٢٤٣٧)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٨١ ، ٣٣٠)، وعبد بن حميد (٣٤٢)،وابن حبان(٥١٨ ، ٥١٩)وابن خزيمة (٢٥٣٩)، والدقاق في «مجلس في رؤية الله» (٧١٠)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣٨٨)، والحاكم (١٦٢٠)، والخطيب في تاريخه (١٢/ ٢٧)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١٧٢٧). والحديث صحيح صححه الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (٢٠٨)، والشيخ ناصر في السلسلة (١٠٣).

الإيمان في قلبه أو ينزع منه إذا هو تمادى على الإصرار عليه، ولم يبالي فيه بوعيد الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع» رواه الحاكم وصححه[1] . وفي رواية : «ما آمن/ مَنْ باتَ شبعاناً وجاره طاوياً»[2] وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمّة الله تبارك وتعالى» رواه الحاكم وصححه[3]، فمتى أحد لم يرحم جائعاً فكذلك لم يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً إلا لأجل دنيا لا لأجل الله. (١٢٣/ب)

الاستخفاف بأهل الفضل

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ليس مِنّا مَنْ لم يرحم صغيرنا ولا يعرف شرف كبيرنا» رواه الترمذي[4]، فذلك لا يعدُّ من المسلمين إلا اسما لا

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢)، وعبد بن حميد (٦٩٤)، وهنّاد في «الزهد» (١٠٤٤)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٤٧)، والطبراني في الكبير (١٢٧٤١) وتمام في فوائده (١٢٦٢)، والحاكم (٧٣٠٧) والخطيب في تاريخه (١٠/ ٣٩١)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٣) وفي الشعب (٦٥٣٦) والحديث صحيح، وأنظر السلسلة الصحيحة (١٤٩).

(٢)رواه الطبراني في الكبير (٧٥١)، وابن أبي الشيبة (٣٠٣٥٩) وحسّنه الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» (٢١)

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٣)، وابن أبي شيبة (٤٢٦)، والطبراني في الأوسط (٨٤٢٦)، والحارث بن أبي أسامة (٤٢٦ – زوائده)، وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم (٢١٦٥) والحديث حكم عليه بالوضع عدة من أئمة الحديث وحكم عليه الحافظ بأقل من ذلك فقال هو منكر وكذا طعن بالحديث الزيلعي والذهبي، والحديث منكر.

(٤) بهذا اللفظ رواه الترمذي (١٩٢٠)، ورواه بلفظ آخر أبو داود (٤٩٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٠٧،١٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٣-٣٥٥ ، ٣٦٣)،والحميدي (٥٨٦)، وهناد في «الزهد»(١٣٢١) وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (١٧٣)، والبيهقي في الشعب (١٠٩٧٦، ١٠٩٧٧) والحديث صحيح.

حقيقة عند الله، فإنّه لا يعد منهم حقيقة إلا من رحم الصغير ووقر الكبير قدراً أو علماً أو نسباً ابتغاء ثواب الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**إن مِنْ إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» رواه أبو داود[١].

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس مِنْ أمتي مَنْ لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**» رواه أحمد[٢] فمتى أحد جاهد نفسه بالأمور الأربعة على صنع ما ذكر كُلّه كان لأهله مِنْ خير رجال الله، وإذا لم يصنع فيه إلا بغير ما أمر به كان مِنْ شرار خلق الله، فعلى قدر ما يصلح الرجل في حاله بالأمور الأربعة يصلح له نسائه لتعلميه إياهنَّ وتخلقهن بخلقه في الله، وعلى قَدْرِ ما يفسد حاله بتركه الأربعة الأمور يفسد له نسائه لتركه تعلمهن وتخلقهن بخلقه المبغوض لدى الله، فلا يكون النساء صالحات إلا بصلاح الرجال غالباً، وفسادهنَّ بفساد الرجال كما هو مشاهد في أرض الله، فعلامة صلاحهنَّ في قوله ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾أي عابدات﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] فمتى حفظَ الرجل نفسه عن الزنى وعن الخيانة في الأمانة، حفظ

---

(١) أبو داود (٤٨٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، والمروزي في «زوائد الزهد» (٣٨٩)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٦٣)، وفي الشعب (٢٦٨٥) عن أبي موسى الأشعري والحديث حسن.

(٢) أحمد (٥/ ٣٢٣)، والبخاري في التاريخ (٧/ ٣١٢)، والحاكم (٤٢١)، عن عبادة بن الصامت، والحديث حسن.

وهو مروي عن أبي إمامة عند البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٦) والطبراني في الكبير (٧٧٠٣، ٧٨٩٥، ٧٩٢٢) وابن عدي في الكامل (٧/ ٨٠) والحديث صحيح.

نسائه أنفسهم عن الزنى وعن الخيانة في أمانة الله، فعلى قدر ما يطيع ربه يطعنَ نسائه إياه، وعلى قدر ما يعصي ربه يكنَّ عاصيات له ساعيات في سخط الله.

إغضاب الزوج

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«والذي نفسي بيده ما مِنْ رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها»** وفي رواية: **«لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(١).

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«لو كنت آمراً أحد أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** رواه الترمذي(٢). فقلّ مِنْ النساء أنْ تكونَ مطيعة لزوجها وهي الصالحة الطائعة لأحكام الله، أما أكثرهنَّ فعاصيات على الأزواج لعصيانهن أمر الله ، فعصيانهنَّ مِنْ عصيان الرجال، فقلّ مَنْ يوجد منهم طائع لله، فيكنّ نسائه طائعات لله وله، لكونه مطيعاً لله، فينبغي التزوّج إليه وترك التزوّج من هو مصر على معاصي الله، فإن نسائه يكن مثله فتتربا إحداهن

(١٢٤/أ) على الخلق السيء ، وهي التي نهى عن تزوجها رسول الله/ فقال: **«إياكم وخضراء الدمن، المرأة الحسناء في المنبت السوء»**(٣)، فمن لا يجاهد نفسه بالأربعة ألا ليكون مِنْ منبت الأخيار، كان مِنْ منبت الأشرار الذين يؤذون المؤمنين بالله قال تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ**

---

(١) البخاري (٣٠٦٥) مسلم (١٤٣٦) واللفظ لمسلم.

(٢) الترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٢)، وابن حبان (٢٩٧٧) وابن أبي الدنيا في «العيال»(٥٣٤)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٩١) والدقاق في «مجلس في رؤية الله» (٩١٣). عن أبي هريرة وهو حديث صحيح، وفي الباب عن معاذ وعائشة وعبد الله بن أبي أوفى.

(٣) الرامهرمزي في «الأمثال» (٨٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٥٣٧) وهو كذلك في «الأفراد» للدارقطني، وهو حديث موضوع وهو من الأقوال التي جرت في الأمثال وقد نسبه جمع كثير من الأدباء وأهل اللغة للرسول ﷺ ولا يثبت عنه.

لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨] فيشتمُ هذا، ويضرب هـذا، ويقـذف هذا، ويظلم هذا، ويكّذب هذا، ويرمى هذا ، حتى يصبح مفلساً مـن كـل خـير يستحق حتى يعدُّ من الأخيار، الذين هم أذلة على المؤمنين أعزة علـى الكافـرين بالله، روى أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالـوا: مـا أخـذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر: تقولون هـذا لـشيخ قرشـي وسيدهم، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أبا بكر لعلّـك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم، فقد أغضبت ربك» فقال: يا أخوتاه لعلي أغـضبتكم فقالـوا: لا ثم قالوا: يغفر الله لك يا أخينا، رواه مسلم والترمذي،[1]، فهذا حال الأخيار فيما بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين بالله. أذى الصالحين

أمـا حـال الأشـرار فهـم أذلـة علـى الكافـرين والفاجـرين لأجل دنياهم وسـيادتهم بهـا عليهم، أعزة على المؤمنين بالله، فهم يدعون إلى الذل للحق وهم يأبـون إلا التعـزز بالـباطل الـذي غلـوا بـه وعلـوا في أرض الله، فأهانـوا بذلك سلطان الله في أرضه ومَنْ حكم به وهو كتاب الله.

روى أنّـه صـلى الله علـيه وسـلم قال: «مَنْ أهان السلطان أهانه الله» رواه الترمـذي[2] ، فعلـى قـدر ما يهينون كتاب الله بالتولي عنه ولم يعظّموا الحاكم به يهيـنهم الله في الدنـيا بالـذل لأهلها، حتى تضيق معيشتهم به ويعموا به عن كلٍّ

---

(١) مسلم(٢٥٠٤).

(٢) الترمـذي (٢٢٢٤)، وأحمـد (٥/ ٤٢ ، ٤٨)، والطيالـسي في مسنده (٨٨٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٦٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٨)، والبزار في مسنده (٣٦٧٠)، وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٥٩)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٦٣)، والحديث ضعيف، وحسّنه الشيخ ناصر رحمه الله.

خير الله، ويهينهم في الآخرة بالعمى حتى يقول أحدهم: لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟، فيقال له : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، أي تركتها، وكذلك اليوم تنسى؛ أي يترك منسياً مِنْ رحمة الله ، إذْ لا يرحم في الآخرة إلا المتقين لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦] فهم الذين إذا ائتمنوا

في الأمانة والخيانة

على شيء أدّوه إلى من أودعهم إياه ولم يخونوا في أمانة الله، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] فلا تأتي الهجرة بعد الإيمان والجهاد إلا بالأمور الأربعة التي هي طريقة الإسلام والاستسلام لله فيرى بها المجاهدة نفسه/ بالتكاليف الشرعية (١٢٤/ب) عليه أثقل من الجبال للمطالبة فيها بالإخلاص، فكلّ ما قال قولاً أو عمل عملاً بالشرع رآه مهلك بالرياء والسمعة والعجب به والتكبر، فيبغضه الله فالبغض عليه من أصعب الصعاب الذي يصيّره حائراً لا يدري أهو ناج أو مكردس في نار الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢] أي بما خفي فيها من الآفات التي تحول بينه وبين أداء الأمانة لله فمن أدّاها بالإخلاص لله فيهما عُدَّ مِنْ خيار الذين تتلقاهم بالبشائر ملائكة الله، ومَنْ لم يؤدها بالإخلاص لله لكونه خان فيها عُدّ مِنَ الأشرار الذين نقضوا ميثاق الله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد:٢٥] ويقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٣١﴾ [الجاثية: ٣١] ونحو ذلك من الآيات الموبخة لهم مِنَ الله، فأشرهم الذين خانَ في الودائع والغنيمة لخيانته فيما كُلّف من شرع الله، روي عن ابن مسعود قال:

(القتل في سبيل الله يكفّر الذنوب كُلّها إلا الأمانة؛ يؤتي العبد يوم القيامة فيقال له : أدِّ أمانتك، وإن قتل في سبيل الله قال: أي ربِّ كيف وقد ذهبت الدنيا، فيقول: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلقوا به إلى الهاوية، وتتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها فيهوى في إثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنّه بلغ زالت عن منكبيه فهو يهوى في إثرها أبد الآبدين ، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والكيل أمانة، والوزن أمانة، وأشياء عددها ، وأشد ذلك الودائع، قال: فأتيت البراء فقلت: ألا ترى ما قال ابن مسعود! قال: صدق، أما سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

قال زيد بن أسلم: (هي الصلاة والصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع) رواه البيهقي[1]. فهذه التكاليف المذكورة هي أحكام أمانة الله فمَنْ أدّاها كما أمر نجى من النار، وإنْ أخلّ بشيء منها فهو تحت المشيئة ، إما عفواً أو عذاباً بنار الله، وإلا الودائع وما تعلق به شيء من حق خلق الله فلا بدَّ مِن القصاص فيه على ما شاء الله، فأكثر الناس اليوم غافلون عن بيان ما ذكر حتى أضاعوا أمانة الله، لا سيما الذين وسِدَ إليهم أمر الإمارة، فإنّهم قد أضاعوا بها أحكام الله، فهذا الشأن من علامة قيام الساعة التي تقوم على شرار خلق الله.

الولايات من الأمانة

روى عن أبي هريرة أنّ أعرابياً سئل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ قال: **«إذا ضُيعت الأمانة فأنتظر الساعة. قالوا كيف: إضاعتها؟ قال: إذا**

---

(١) البيهقي في الشعب (٥٢٦٦)، قال المنذري في الترغيب (٢/ ٣٥٨):، رواه البيهقي موقوفاً ورواه بمعناه هو وغيره مرفوعاً والموقوف أشبه.

وقال في مكان آخر (٤/ ٤): رواه أحمد والبيهقي موقوفاً وذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناد جيد، وحسنه الألباني رحمه الله.

وسِدَ **الأمرُ إلى غير أهله»** رواه البخاري[١]، فخيار الناس يشفقون أن تقوم عليهم فيستعدّوا لها بالصلاح والإصلاح ما استطاعوا في الله، وشرار الناس لا يشفقون أنْ تقومَ عليهم، ويستعجلونها بالفساد والإفساد لعدم يقينهم في الوعيد بها من الله، فعلامة الأخيار أنهم لا يتولون / أمر الناس إلا كُرهاً عليهم لأجل قيام دين (١٢٥/أ)
الله، وعلامة الأشرار أنهم يتولون أمر الناس بالمحبة له مع طلبه لأجل الرئاسة والعلو به في أرض الله، روى عن عبد الرحمن بن أبي سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تسأل الإمارة فأنك إنْ أُعطيتها مِنْ غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكّلت إليها، وإن حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فإتِ الذي هو خير منها، وكفر عن يمينك»**رواه البخاري ومسلم[٢]، فقلَّ مَنْ يوجد اليوم مَنْ يكره الإمارة ويولاها على كراهة منه فيعدل بها لله، فلا يطلبها إلا الذي لا يعلم بآفاتها ومتى علمها كرهها لله، روى عن أبي ذر قلت: يا رسول الله: ألا تستعملني فقال: **«يا أبا ذر إنّها أمانة وإنّها يوم القيامة خِزيٌ وندامة، إلا مَنْ أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»** رواه مسلم[٣] فلا يُعدّ مِنَ الأخيار إلا الذي أدى فيها حق الله، ومن لم يؤده فيها عُدَّ مِنَ الأشرار فيخزى بها في الدنيا بضنك المعيشة فلا يأكل إلا حرام ويخزي بها في الآخرة بما يَسرُّ فيها الندامة التي يزداد بها عذاباً في نار الله، فيكون عذابه فيها على قدر ما غشَّ رعيته بالأحكام الجبروتية، حتى أكّلهم بها حرام مال الله.

---

(١) البخاري (٥٩، ٦٤٩٦).

(٢) البخاري (٦٢٤٨)، ومسلم (١٦٥٢).

(٣) مسلم (١٨٢٥)

غش الرعية

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ما مِنْ عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**» وفي رواية: «**لم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة**» رواه البخاري ومسلم[1].

فلا تكون النصيحة إلا بالعدل في الإمارة والإحسان بها والتواضع لأحكام الله، فمنْ تواضعَ لها فقد خفض جناحيه للمؤمنين بالله، ومَنْ لا يتواضع لها فما خفض جناحه لهم، وما هو إلا مِنْ المتكبرين بجبروته وعات على الله فلا يتخلّق بُخلق نبيه ما دام على جبروته، ويتبرأ منه يوم يلقى الله إذْ لا يكون متخلّقا بخُلق نبيه إلا الذي أمتثل لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فمَنْ صنع في إمارته كما أمر نبيه فيها عُدّ مِنْ أهل الرفق برعاياهم الذين يرفق بهم الله، ومَنْ لا يصنع فيها إلا بالفظاظة والغلاظة بأحكام الجبروت/ عُدّ مِنَ أهل الشق برعاياهم الذين يشق عليهم الله. (١٢٥/ب)

الشفقة على الرعية

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهُمّ مَنْ ولي مِنْ أمر أمتي شيئاً فشَقّ عليهم فُشُقّ عليه، ومَنْ رَفَقَ بهم فأرفق به**» رواه مسلم[2] فمن الشق عليهم الاحتجاب عن سماع دعاواهم فيأكل قويهم ضعيفهم، فلا ينتصف المظلوم من ظالم فيبغضه الله، فبذلك لا يدخله المحتاجين إلى ما يستحقونه، مما هو حاكم عليه من مال الله، فيصبحوا بمنعهم من ذلك فقراء خلق الله، فيكون بذلك محجوباً يوم القيامة عن رحمة الله.

---

(١) البخاري (٦٧٣١، ٦٧٣٢)، ومسلم (١٤٢).

(٢) مسلم (١٨٢٨).

روى عن أبي مريم الأزدي أنه قال لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فأحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم إلا أحتجب دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة**» فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس رواه أبو داود والترمذي[١] فأمراء الجور يكونون على نحو ما ذكر في الشق على رعاياهم، فيا ويلهم يوم حساب الله، ويشتد عليهم الويل إذا هُمْ ولّى أحد محاباة وهم ما جربوه بعدلٍ ولا إحسان في الله.

الاحتجاب دون الرعية

روى أحمد والحاكم في صحيحه عن يزيد بن أبي سفيان أنّ أبا بكر قال ليزيد: إنّ لك قرابة عسى أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أخوف ما أخاف عليك بعدما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ ولي أمر من أمور المسلمين شيئاً فأمّر أحدٌ محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عَدلاً**»[٢].

المحابات في الولاية

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**من أستعمل رجلاً على عصابة وفيهم مَنْ هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**» رواه الحاكم[٣]. فمن يرد الله به خيراً جعله لا يولي أحداً إلا بعد أنْ يجتهد أنّه مِن أرضى أهل

---

(١) أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣٢)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، وعبد بن حميد (٢٨٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٣١/ ٢٨٣٢)، وفي «مسند الشاميين» (١٤٠٤) والحارث بن أبي أسامة (٦٠٩ - زوائده)، والحاكم (٧٠٢٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠١) والحديث صحيح.

(٢) الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦) والحاكم (٧٠٢٤)، وأبو نعيم في «فضيلة العادلين» (٩)، وابن عساكر في تاريخه (٦٥/ ٢٤٦)، والحديث ضعيف.

(٣) الحاكم (٧٠٢٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٦٢)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٥٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٤٧) والحديث ضعيف انظر «السلسلة الضعيفة» (٤٥٤٥).

زمانه في الله، ومَنْ يرد الله به شراً جعله لا يجتهد في ذلك ، فيولي الخائن في أمانة الله، فكل ما خان في حكم على رعيته كان لموليه عليه ذنب كذنبه وقرن معه يوم الله، روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ما مِنْ أحد يكون على أمور هذه الأمة فلم يعدل بينهم إلا كبَّه الله في النار**» رواه الحاكم(١)، إذا لا ينجو مِنَ النار إلا الذي ما اتبع هواه في إمارته وحكم بالحق فيها لله قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦] / فمَنْ لا يحكم بالحقّ في إمارته نسيَ حسابه فيها (١٢٦/أ) يوم الله فيزداد ظلمه بإتباع هواه على قدر ما خالف به شرع الله، فمن لا يحذر من ضرر ما يتحمله من الإمارة بالشرِّ ضرَّ بدعوة كل مظلوم بها ويزداد عذابه بها على قدر ما أغضب بها الله.

الجور والظلم وخطر الولاية

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب**» رواه البخاري ومسلم(٢) وضر أيضاً فيها بما استعمل عليه من بيت المال أو أستعمل أحداً عليه فلم يعدل فيه الله فيحتمل على ظهره كل ما غَلّه مِنَ الغنيمة أو الصدقة أو بيت المال المستأثر هو به، ومَنْ قلّده فيه ابتغاء الغلو به في أرض الله.

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٢١-٢٢٢/ (٥١٤ - ٥١٩)، وفي الأوسط (٦٦٢٩)، وابن أبي شيبة، والحاكم (٧٠١٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٧٣)، وابن عساكر في تاريخه (١٩/ ٢٠١، ٣٧/ ٤٥٠)، والحديث ضعيف، أنظر «السلسلة الضعيفة» (٢٠٣٣، ٥٣٦٤).

(٢) البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال:«**من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان ذلك غلولاً يأتي به يوم القيامة**» رواه مسلم وأبو داود[١]، أي محمولاً على ظهره ويشعل عليه ناراً مُساقاً به إلى نار الله، فعلى قَدْرِ ما يجور على رعيته ويغل فيما استحقوه مِنْ بيت المال يكون له الويل مِنَ الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**ويل للأمراء ويل للعرفاء ويل للأمناء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أنَّ ذوائبهم معلّقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عمالاً على شي**» رواه أحمد[٢]، فلا يسمع بهذا الوعيد الشديد مسلم إلا أختار أن لا يكون أميراً، وينصح من يحبه أنْ لا يكون أميراً ، ولو زعم أنّه يعدل فيها لله.

ولاية من لا يحسن العدل

روى عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « **يا أبا ذر إنّي أراك ضعيفاً ، وإنّي أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين ولا تولين مال يتيم**» رواه مسلم[٣]. فكم من آفات كثيرة في الإمارة بالجور في أحكام الله، فلا يعلم وبالها بما فيها من القضاء والاقتضاء على حكم الجور إلا يوم يأتي بها إلى نار الله، فلا نجاة مِنْ شرها إلا بمجاهد بالأمور الأربعة حتى يعدل فيها لله، فالناس فيها والقضاة بها ثلاثة أصناف يوم الله.

روى إنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار؛ رجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل قضى للناس بعلم**

---

(١) مسلم (١٨٣٣)، وأبو داود (٣٥٨١).

(٢) الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٢ ، ٥٢١)، والطيالسي (٢٥٢٣)، وأبو يعلى (٦٢١٧)، والحاكم (٧٠١٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٩٧) والحديث حسّنه الألباني وغيره.

(٣) مسلم (١٨٢٦).

فمـال في الحكـم فهو في النار، ورجل قضى للناس على علم فهو في الجنة» رواه أبـو داود[(١)] فـواجب علـى مَنْ تولى أمراً في حكومة المسلمين أن يزن نفسه بميزان مـا ذكر في حديث رسول الله فعساه أن يجاهد بالأمور الأربعة ليتخلق بميزان مَنْ
(١٢٦/ب) / يترجى بقضائه جنة الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم : «إنّما يدخل الجنة مَنْ يـرجوها ولا يجـنب مـن النار إلا مَنْ يخافها»[(٢)] وهو مِنْ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهـف : ١١٠] فمـا على المكلّف بالعمل الصالح إلا نفسه ، يعمل عليها مجاهدة في الله، فـإنْ هـو عالم بالأحكام والحكم فيجاهدها بهما ابتغاء مرضات الله، وإنْ هـو جاهـل بهمـا فليـتعلمها ممـن هو فقيه بهما، ويعمل بهما لله فإنّ أفتى فيهما بفتوى باطلة، وعمل بها كان آثم، ذلك على الذي أفتاه وهو مثاب عليه مِنَ الله، حتـى إذا علـم بطـلان فتياه حرم عليه العمل به ووجب عليه الرجوع عنه إلى ما اعتمده مِنْ علم الله.

---

(١) أبـو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، والنسائي في الكـبرى (٥٩٢٢)، وابـن ماجه (٢٣١٥)، والطبرانـي في الكـبير (١١٥٤، ١١٥٦)، وفي الأوسط (٣٦١٦ ، ٦٧٥٧ ، ٦٧٨٦)، وعبد بن حميد (٤٨)، وابـن عـدي في الكامـل (٢/ ٤٥٩) (٤/ ١٦) (٦/ ١٥١) و البرجلانـي في «الكـرم والجود» (٩٧)، والبيهقـي في الـشعب (٧٥٣١)، والحـديث صـحيح صـححه العراقي والزيلعي في «نصب الـراية» وقـال ابـن حجر في « تلخيص الحبير» إنه أفرد فيه جزءاً. وصححه من المعاصرين الألباني وغيره.

(٢) رواه ابـن أبي شيبة (٣٤٣٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٥)، والبيهقي في الشعب (٧٧٨)، وفي «الأربعـين الـصغرى» (٣٠)،عـن ابن عمر والأصح إنه مرسل والحديث ضعيف، وانظر «السلسلة الضعيفة» (٣٢٢٥).

روى أنـه صلى الله عليه وسلم قال: «**مِنْ أفتى فتيا بغير علم كان أثم ذلك على الذي أفتاه**»رواه أبـو داود[1]، فما يُفتي بغير علم إلا الخائن في أمانة الله وهو الـذي لا يـؤدي الأمانة إلى أهلها كما أمر ويكتم شهادة الله فيخالف قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] فيفسد قلبه بذلك فلا يمتثل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] فيثقل عليـه أدائها ثقل من الجبال فيـصير بـذلك مِنْ أشقى خلق الله، فلثقلها على الإنسان الجهور بها قال الله فـيها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] أي لـثقل حملـها لله، فمـن حملها كما أمر كـان صـادقاً أمينا، ومَـنْ أسـتثقل حملها حتى رواها كان كاذباً خائناً منزوعاً منه الإيمان بالله.

الأمانة في البيع والشراء

روى عـن حذيفـة قـال: حدثـنا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم حديثين فـرأيت أحـدهما وأنـا أنتظـر الآخـر حدثـنا: «**أنَّ الأمانـة نـزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السُنّة**».

ثـم حدثـنا عـن رفـع الأمانة فقال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلـبه فـيظل أثـرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثـرها مـثل أثر/ المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شـيء، ثـم أخـذ حـصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحـدهم يـؤدي الأمانـة، حتـى يقـال: إن في بـني فلان رجلاً أميناً ، وحتى يقال** (١٢٧/أ)

(١) أبـو داود (٣٦٥٧)، والـبخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٩)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣٣٤ ، ٣٣٥)، والحاكم (٤٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠) والبيهقي في السنن (١١٦/١٠) والحديث صحيح.

للرجل : ما أجلده ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال ذرة خَردل من إيمان»، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعته إن كان مسلماً ليردنه على دينه، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم أحد إلا فلانا وفلانا، رواه البخاري ومسلم(١). فمن لا يخاف مما ذكر في الحديث لم يجاهد نفسه بالأمور الأربعة كان خائناً في أمانة الله فيظهر للناس أنّه مؤتمن في الأمانات وهو خائن فيها المراقبة بها خلق الله، فلا يعرف وبالَ خيانته في الأمانة إلا يوم تقوم هي مع الرحم على جنبي الصراط ليحكم بالحق لهما لله، فمن أدّى حفظهما كما أمر تعدى على الصراط فنجيا مِنْ هوله إلى أنْ يدخل جنة الله، ومَنْ لم يؤد حفظهما لكونه خان فيهما خُدَش بهول الصراط ثم كردس في نار الله.

روى في حديث الشفاعة أنّه صلى الله عليه وسلم قال: « **وترسل الأمانة والرحم فيقومان بجنبي الصراط يميناً وشمالاً»** رواه مسلم(٢)، فمن لا يتقي وبال ما ذكر في الدنيا كيف ينجي منه في يوم الله؟ فذاك يذكر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[التحريم:٦] وأنّى له الذكرى كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤﴾ [الفجر: ٢٣،٢٤] فأشدّ الناس حسرة وندامة في ذلك اليوم، الذي يُسئل عن رعيته وهو ما عدل فيهم بأمانة الله.

---

(١) البخاري (٦١٣٢)، ومسلم (١٤٣).

(٢) مسلم (١٩٥).

قوله كلكم راع

روى أنّـه صلى الله عليه وسلم قال: «كُلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته الإمـام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمـرأة راعـية علـى بـيت زوجهـا ومسئولة عن رعيتها، والولد راع في مال أبيه ومـسئول عـن رعيـته، والخـادم راع في مـال سـيده ومـسؤول عـن رعيته» رواه البخاري ومسلم[1]، أما الذي عَدَلَ في رعيته فيكون عند السؤال متثبتاً/ مسروراً (١٢٧/ب) علـى قـدر مـا صـدق بـالأداء في أمانـة الله، فهـو الذي يرفق الله به عند السؤال والحساب والسير على الصراط إلى أنْ يدخل جَنة الله فيكون بضّده مَنْ شق على رعيـته، ويـشتد عذابـه على قدر ما ظلمهم أجابه فيه لدعاء رسول الله فإنّه قال: «اللـهّم مـن ولي أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فشق عليه ومن رفق بهم فأرفق به» رواه مسلم[2]، ومِنْ الرعية العبد المملوك فإن رفق به سيده، رفق الله به وإذا شقَّ عليه شقَّ عليه الله، روى عن ابن مسعود البدري أنّه ضرب عبداً له فقال له النبي صـلى الله عليه وسلم: «إنّ الله تعالى: أقدر عليك مِنَك على هذا الغلام ، فقلت يا رسول الله هو حرٌ لوجه الله تعالى، قال : «لو لم تفعل للفحتك النار. أو لمستك الـنار»[3] فمـن لا يخشى ظلم مملوكه بضربه أو تجويعه أو تحملّه ما لا يطيقه، فقد خـانَ في أمانـة الله ومـثل ذلـك في الـبهائم ، فمن لا يخشى ظلمه لها بما ذكر كان خائناً في الأمانة المسؤول عنها يوم الله.

---

(١) البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) مسلم (١٨٢٨).

(٣) مسلم (٢٦٥٩).

روى أنّـه صـلى الله علـيه وسـلم مـرَّ علـى جمل قد وسِمَ في وجهه فقال: «لعـن الله مَنْ فعل هذا»[١] وفي رواية: «نهى عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه» رواه مسلم[٢].

الرفق بالمملوك

وروي أنّـه صـلى الله علـيه وسلم قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فـلا هـي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» رواه البخاري ومسلم[٣].

الرفق بالبهائم

وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «كفى بالمرء إثماً أنْ يحبس عمن يملك قوته» رواه مسلم[٤].

وفي رواية لأبي داود: «أن يضيع من يقوت»[٥].

وروي عـن الحسن أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لصاحب الجمل الذي لم يعلفه: أما إنّه ليحاجك يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) مسلم (٢١١٦).

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) البخاري (٣١٤٠)، ومسلم (٢٦١٩).

(٤) مسلم (٩٩٦).

(٥) أبـو داود (١٦٩٢)، والنسائي في الكـبرى (٩١٧٧)، وأحمد (٢/ ١٦٠، ١٩٣، ١٩٤ ، ١٩٥) وابن المبارك في «الـبر والـصلة» (١٧٨، ١٨٠)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (١)، والطيالسي (٢٢٨١)، والبـزار (٢٤١٥)، والطبرانـي في الكـبير (١٣١٤١)، وفي الأوسط (٤٣٥٤، ٥١٥٥) وأبو نعيم في الحلـية (٧/ ١٣٥)، وأبـو الـشيخ في «الأمـثال» (٨٠) والقطيعـي في «جـزء الألـف دينار» (١٠٤)، والبيهقـي في الـسنن (٧/ ٤٦٧)، (٩/ ٢٥) وفي الشعب (٨٧٠٩) عن عبد الله بن عمرو والحديث حسن.

(٦) ليس في البخاري ومسلم، بل هو عند هنّاد في زهده مرسلاً عن الحسن (١٣٤٤).

فمن صنعَ المعروف فيما يملكه مِنْ إنسان وبهيمة فقد أدّى ما وجب عليه في أمانة الله، ومَنْ لا يفعل فيه كما نهى عنه حاجّه يوم حساب الله، فكلٌ أبصر بنفسه إنشاء خان وإنشاء أدّى ما عليه لله، فكذلك المملوك إنْ أدّى ما عليه لسيده نجى، وإنْ لم يؤده كان خائناً في أمانة الله، فعندما يكون عليه خيانة إباقه مِنْ سيده، فإنّه يتبرأ منه الله.

إباق العبد

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: **«أيما عبدٍ أبق فقد برئت منه الذمة»** رواه مسلم(١)، ومِنْ أشدِّ الخيانة في الأمانة نقض عهد الله فيكون الله تعالى خصمه ، ومَنْ / كان خصمه الله لم يشفع له نبي الله، ومن أشد الخيانة في الأمانة (١٢٨/أ) بيع الحر وأكل ثمنه، فيكون الله تعالى خصمه يوم يلقى الله.

ومنها أيضاً منع الأجير أجرته بعد الاستيفاء منه، فيكون الله خصم غريمه فيخصمه بحجته عليه ويجعله وقود لنار الله.

ظلم الأجير

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال : **«قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومَنْ كنتُ خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»** رواه البخاري(٢).

ومن الكبائر السائقة إلى النار سؤال المرأة زوجها الطلاق من غير ضرورة والحاجة الملحة بها في دين الله.

---

(١) مسلم (٦٩).

(٢) البخاري (٢١١٤).

سؤال المرأة الطلاق

روى أنّـه صـلى الله عليه وسلم قال: **«أيما امرأة سئلت زوجها الطلاق مِنْ غير بأسٍ فحرام عليها رائحة الجنة»** رواه الترمذي[١].

ومـن الكبائر السائقة إلى النار عقوق الوالدين أو حدهما بترك شيء أوجبه الله، وكـذا ذنـب الذي يعتبر السوء على أهله؛ وهو الديوث؛ فإنّ ذنبه يسوقه إلى نار الله.

وكـذا ذنـب المرأة التي تلبس ما يعتاده الرجال لبسه خاصة ، فإنّ ذنب ذلك يسوقها إلى الـنار، حتـى تـشبهها بكـلام الرجال ومشيتهم وركوب الخيل ولبس السلاح إلا لضرورة الحاجة في رخصة الله.

الديوث

روى أنّـه صـلى الله عـليه وسـلم قـال: **« ثلاثـة لا يدخلـون الجنة، العاق لـوالديه، والديـوث، ورجلـة النساء»** رواه الحاكم[٢] ، وفي رواية : أنّه صلى الله علـيه وسـلم سـئل فما الديوث؟ قال: **«الذي لا يبالي مَنْ دخل على أهله»** قيل فما رجَلة النساء؟ قال: **«التي تشبه بالرجال»** رواه الطبراني[٣].

---

(١) أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجه (٢٠٥٤ ، ٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧ ، ٢٨٣)، والدارمي (٢٢٧٠)، وسعيد بن منصور في سننه (١٤٠٧)، وابن حبان (٤١٨٤)، والطبراني في الأوسط (٥٤٦٩) وابـن الجـارود في «المنتقـى» (٧٤٨)، والحـاكم (٢٨٠٩)، والبيهقـي في الـسنن (٧/ ٣١٦)، وفي الشعب (٥٥٠٣) والحديث صحيح.

(٢) النسائي في المجتبى (٥/ ٨٠)، وفي الكبرى (٢٣٤٣)، وأبـو يعلى (٥٥٥٦)، وابن حبان (٧٣٤٠)، والطبراني في الكبير (١٣١٨٠)، وفي الأوسط (٢٤٤٣)،وابن عدي في الكامل(٥/ ٢١) (٦/ ١٣٣)، والحاكم (٢٤٤)، والحديث صحيح.

(٣) ورد ذلـك في روايـة عـند الطبرانـي كمـا في «الترغـيب والترهـيب» (٣/ ٧٧)،والهيثمـي في المجمـع (٤/ ٣٢٧)، والبيهقي في الشعب (١٠٨٠٠)، قال الهيثمي: إن في رواية الطبراني مساتير وليس فيهم مـن قـيل إنـه ضـعيف. وأما المنذري فقال: لا أعلم فيهم مجروحاً وشواهده كثيرة، والحديث حكم عليه الألباني بالصحة.

ومِـنَ الكبائر السائقة على ما يساق إليه الزناة ظُلْمَ الزوج زوجته في مهرها ولو في القليل منه، فإنه يسوقه إلى نار الله.

ظلم المرأة

روى أنـه صلى الله عليه وسلم قال: **«أيما رجل تزوّج امرأة على ما قلَّ من المهر أو كثر، وليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان»** رواه الطبراني[1].

ومـن الكبائـر الـسائقة إلى الـنار ذنـب إشـارة الإنـسان إلى الإنـسان المسلم بالـسلاح، فإنّـه لا يـدري إن الـشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار، رواه البخاري ومسلم[2].

فمطلـق / الإشـارة بالـسلاح فـيمن ذكـر حـرام ولو تيقن المشير به أنّ مِنَ المحـال أن يجـرح بـه صـاحبه لكـونه يحـبه في الله، بل يلعن به إلى أنْ يُغمد عنه أو يكـفّ عـن إشارته عنه ويتوب إلى الله، فإنْ ماتَ وهو مصر عليه لكون لم ينزجر عنه بقوله نبيه: تتابعت عليه فيه اللعنات، وساقته إلى نار الله. (١٢٨/ب)

الأشارة بالسلاح على وجه اللعب

روى أنـه صـلى الله علـيه وسـلم قـال: **« مَـنْ أشـار إلى أخـيه بحديدة فإنّ الملائكة تلعنه حتى يدرها، وإنْ كان أخاه مِنْ أمه وأبيه»** رواه مسلم[3].

وروي أنـه صـلى الله عليه وسلم : **«نهى أن يتعاطى السيف مسلولاً»** رواه الترمذي[4].

---

(١) أحمد (٤/ ٣٣٢)، والطبراني في الكبير (٧٣٠١، ٧٣٠٢) وفي الأوسط (١٨٥١)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٤٨٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٦٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٥٤)، والبيهقي في سننه (٧/ ٢٤٢) والحديث ضعيف.

(٢) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٦١٧).

(٣) مسلم (٢٦١٦).

(٤) أبو داود (٢٥٨٨)، والترمذي (٢١٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٠) والطيالسي (١٧٥٩)، وابن حبان

وروي أنّـه صلى الله عليه وسلم مَرّ على قوم يتعاطون سيفاً مسلولا فقال: « **لعنَ الله مَنْ فعل هذا ، أو ليس قد نهيت عن هذا**»[(١)]، ثم قال: «**إذا سلَّ أحدكم سيفه فنظر فيه ثم أراد أن يناوله أخاه فليغمده ، ثم يناوله إياه**» الرواية في المسند.

ومـن الكبائر السائقة إلى النار ذنب مَنْ قاتل فقتل لأجل إعلاء قانونه الذي أفسد به في أرض الله.

العصبية

روى أنّـه صـلى الله عليه وسلم قال : «**مَنْ قتل تحت راية عمياء يدعوا إلى عصبية أو ينصر عصبية**» أي تعصبوا على الباطل «**فقتله جاهلية**» رواه مسلم[(٢)].

وروي أنّـه صـلى الله عليه وسلم قال: « **مَنْ نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي تردى فهو ينزع بذنبه**» رواه أبو داود[(٣)]، فمن لا يحذر من التعرض لنـصره أهـل الـباطل ولو باللسان كان منهم وحوسب بحسابهم وحشر معهم إلى نار الله.

ومـن الكبائـر إيـواء المحـدث الباطل لغير ضرورة تحوج إليه لها رخصته مِنْ شرع الله فمن أواه أو أعانه على باطله نزلت عليه لعنات الله.

= (٥٩٤٦)، وابـن أبـي شـيبة (٢٥٥٧٣)، والحـاكم (٧٧٨٥)، وصـحح إسـناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٢٥) وكذا حسنه الألباني وغيره.

(١) أحمد (٥/ ٤٢)، والطبراني في الكبير (١١٩٠)، والحاكم (٧٧٨٦) والحديث حسَنْ.

(٢) مسلم (١٨٥٠).

(٣) أبـو داود (٥١١٧)، وأحمـد (١/ ٤٤٩)، وأبـو نعـيم في الحلـية (٧/ ١٠٢)، والـشاشي في مـسنده (٢٨٠، ٢٨١)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (٦٤)، والدقاق «في مجلس في رؤية الله» (٥١٣)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٣٤)، وفي الشعب (٧٦٧٧). والحديث صحيح.

من آوى محدثاً

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لعنَ الله من آوى محدثاً»[١]، فعلى قدر صحبته المبتدعين الحوادث الباطلية يكون بعده اللعنات من رحمة الله، فإذا مات على ذلك حُشِرَ مع الذين ظلموا أنفسهم بمعاصي الله، فإنّ أحدهم يودّ أنْ لو يفتدي بكل ما ظَلِمَ في الدنيا مِنْ عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [يونس:٥٤] فعلى قدر ما ظلم ظالم شيئاً يحمله على ظهره، وأسرّ الندامة به فيزداد بها عذاباً مِنَ الله.

ومِنَ الكبائر أكلُ مالِ اليتيم ظلماً فإنه يتأجج ناراً في بطن آكله إلى يوم يلقى الله فلا يحسس به إلى بعد موته، ويُصْلى به إلى النار التي تزداد به سعيراً/ (١٢٩/أ) على ما شاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

ظلم اليتيم

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**رأيت ليلة أُسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل، أحدهما على منخره ، والأخرى على بطنه، وخزنة النار يلقمونهم حرّ جهنم ومنخارها، فقلت: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً**»[٢].

ومن الكبائر الربى وصحبه وأهله وإيواءهم وإعانتهم عليه ، وهم ملعونون بلعنة الله، وذنبه معدود من السبع الموبقات في نار الله.

---

(١) مسلم (١٩٧٨).

(٢) عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٦٦-٣٦٧)، والطبري في تفسيره (٤/ ٢٧٣)، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣)، لابن أبي حاتم،والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠)، والحديث ضعيف جداً.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال:«**اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحفُ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» رواه البخاري ومسلم(١). فمن لا يجاهد نفسه بالأمور الأربعة على ترك السبع الموبقات وتجنّب صحبه أهلها كان منهم وحشر معهم إلى نار الله، فمتى عُدَّ منهم سعى في الأرض بالفساد ولأخذ أموال الناس ظلماً ولا يبالي فيها بوعيد الله.

ومَنَ الكبائر اقتطاع الأرض ظلماً ولو شبراً منها فإنّه يطوّق به صاحبة من سبع أرضين فيهوى به في نار الله.

غصب الأرض والظلم في الأبدان

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوّق به يوم القيامة من سبع أرضين**»(٢).

ومن الكبائر فعل أحد ثلاثة التي لا تقبل من أجلها الصلاة لله، وهي في قوله صلى الله عليه وسلم : «**ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صلاة؛ مَنْ تقدم في قوم وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة أدبارا، والأدبار أن يأتيها بعد أن تفوته، ورجل اعتبد محرراً**» رواه أبو داود(٣).

ومن الكبائر ضرب المسلم بغير حق ولا سيما إن جرّد ظهره ليزداد ألمه بالضرب فإنه يوجب غضب الله.

---

(١) البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩).

(٢) البخاري (٣٠٢٦)، ومسلم (١٦١٠).

(٣) أبو داود (٥٩٣)، وابن ماجه (٩٧٠)، والبيهقي في «السنن الصغرى» (٥٦٥)، وفي الكبرى (٣/ ١٢٨)، وابن عساكر في تاريخه (٥٦/ ٨٢)، والحديث ضعيف إلا الشطر الأول منه فله شواهد.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «من جرّد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان» رواه الطبراني[١].

الظلم في الأموال وخذلان المظلوم

ومن الكبائر الموجبة سلب الإيمان لمن أمِنَ بها مكر الله وهي نهبه أموال الناس غضباً من غير مبالاة برفع الناس إليها أبصارهم وبغير مبالاة فيها بوعيد الله ، روى في الصحيح أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ولا ينتهبن نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»/ [٢]. (١٢٩/ب)

ومن الكبائر خذلان المسلم فما يفعله إلا الذي لا يبالي بالخذلان فيه مِنَ الله؛ سوى أنّه صلى الله عليه وسلم قال:«مَنْ أُذل عنده مؤمن ولم ينصره وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة» رواه أحمد[٣]. وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِنْ أمرئ مسلم يهتك حرمة أمرئ مسلم يهتك حرمة امرئ مسلم في موضع ينتهك فيه حرمته وينقص فيه مِنْ عرضه إلا خَذّله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما مِنْ امرئ مسلم ينصر أمرئ مسلم في موضع ينتقص فيه مِنْ عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته» رواه أبو داود[٤]. فما دام الناس عاكفين على التخلّف

---

(١) الطبراني في الكبير (٧٥٣٦)، وفي الأوسط (٢٣٣٩)، وفي «مسند الشاميين» (٨٢٥)، وابن عساكر في تاريخه (٤١/ ٤٣٢)، والحديث ضعيف انظر السلسة (١٢٧٥).

(٢) البخاري (٢٣٤٣)، ومسلم (٥٧).

(٣) أحمد (٣/ ٤٨٧)، والطبراني (٥٥٥٤)، والبيهقي في الشعب (٧٦٣٣)، والحديث ضعيف، وانظر «السلسلة الضعيفة» (٢٤٠٢).

(٤) أبو داود (٤٨٨٤)، وأحمد(٤/ ٣٠)، وابن المبارك في الزهد(٦٩٦)، والبخاري في التاريخ(١/ ٣٤٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٤١)، وفي «الغيبة» (١٠٦). والطبراني في الكبير(٤٧٣٥)، وفي الأوسط (٨٤٦٢)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٦٧) وفي الشعب (٧٦٣٢) وأبو نعيم في الحلية

بهذه الخصال الذميمة لم تَصفُ لهم أخوة الإسلام في الله، فإذا لم تَصفُ لهم لا يزالون في بغضاء وعداوة على قدر تخلقهم بالكبائر المنزلة عليهم لعنة الله، فما يتأتى منهم إلا هتك ستر الضعيف، والتكلم في عِرضِه فيكونون لهم قوة ينصرون بها على أعداد الله، إذ لا ينصر على الأعداء نَصرَ عزّ وتمكين في الأرض إلا المؤمنون المتحابون باخوة الإسلام في الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] فما يكون الصلح بينهم إلا بالسعي في الصلاح والإصلاح في ما استطاعوه في الله، فيكونوا بذلك أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ولا تأخذهم لومة لائم في التكلّم بالحق لله فلا يكون رجل ينظرهم بذلك إلا الله وغير خائفين ممن يرتد منهم عن دين الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، هذا وصف الأخيار فيكون وصف الأشرار بضدهم، ولا يفكرون في عاقبة شرهم آمنين فيه وعيد الله، إذْ لا يخاف الوعيد إلا الراجي بإيمانه الوعد الصادق فيما عمله الله فيجازي مِنْ أجله المؤمنين على قدر اشتغاله بالله، فأعظم الناس اشتغالاً بالله نبيناً محمد صلى الله عليه وسلم فكانت أخوته بذلك لأصحابه لا أفضل منها أخوة في الله فكان يؤاخيهم مِنْ أجل الإسلام لا مِنْ أجل حظوظ الدنيا

أخوة الإسلام وحق المسلم

= (٨/ ١٨٩) والحديث ضعيف، وكان الشيخ ناصر قد حسنه في «صحيح الجامع» ثم ضعفه في الترغيب وهو الصواب.

وشـهواتها لكـونه تفـردّ عنها بالانقطاع إلى الله، فقال: **«لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لإتخذت أبا بكر خليلاً/ ولكن صاحبكم خليل الله»**[١]. (١٣٠/أ)

فمـن ورّثـه الكمال كانت أخوته لمؤمنين زمانه صادقة النصح في الله فيكون مـن إخوانه الذين ترحم عليهم بقوله: **«رحم إخواني الذين أمنوا بي ولم يروني»** رواه الديلمـي[٢]، فكـل مـنَ المؤمـنين تكون فضيلة أخوته لهم على قَدْرِ ما تخلق بخلـق رسـول الله فوصـف الـنبي صـلى الله علـيه وسلم أخوة الناصحين بقوله: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»** رواه البخاري ومسلم[٣].

وروي في وصـفهم الكامـل الـذي يُنْـصَرون بـه على عدوهم بقوله: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا أبتلى منه عضو تداعى له سـائر الجـسد بالـسهر والحمـى**، رواه الـبخاري ومسلم[٤]، **فمن علامة وصفهم الحميد المحمود العاقبة في الدنيا والآخرة امتثالهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسـدوا ولا تناجـشوا أي تغـارروا في بـيع الـسلعة بأزيد مِن أثمان أمثالها ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً ، المـسلم أخـو المـسلم، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره ، والتقوى هاهنا ويشير إلى صدره بحسب أمرؤ مِنَ الشرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمـه ومالـه وعرضـه»** رواه مـسلم[٥]، فهـذا الوصـف المذكـور هو وصف أخوة

---

(١) مسلم (٢٣٨٣).

(٢) أحمد (٣/ ١٥٥)، والطبراني في الأوسط (٥٤٩٤)، وأبو يعلى (٣٣٩٠)، وله شواهد كثيرة وانظر «السلسة الصحيحة» (٢٨٨٨).

(٣) البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٤) البخاري (٥٦٦٥) مسلم (٢٥٨٦).

(٥) مسلم (٢٥٦٤).

الإسلام؛ الذي يقصد به وجه الله، ومَنْ لم يكن إلا بضد ما ذكر فيه مِنَ الخير عُدّ مِنَ الأشرار الذين يمقتهم الله، وهم أهل التحاسد والبغضاء به التي تخلّق عليهم دين الله فيكثر الغدر منهم، وتزداد العداوة والبغضاء حتى يخذلوا بهما مِنَ الله فيقطعون بها الأرحام مع التدابر عن أحكام شرع الله فيبيع بَعضهم على بيع بعض، بخيانة فيه وغش وخصام بالكذب توجب عليهم لعنةَ الله، فيكف يكونون بذلك أخوانا ناصحين صادقين لله؟ بل لا يكونون إلا إخوان العلانية أعداء السرائر أشرٌّ مِنَ الكفار بالله، فيسلم بعضهم بعضاً عند العداوة والبغضاء إلى من يصنع الظُلم فيهم بأخذ الأموال والتعزير المحرم في شرعٍ/ الله، فبذلك يكون (١٣٠/ب) الخذلان والتحقير للمسلم الضعيف منهم، وتضعف فيهم التقوى لله، وربما تعدم من صدورهم ، فلا يتقون إلا غير الله فعلامة عدمها مِنَ صدُرهم تحقير بعضهم بعضاً ، ولا يراعون فيهم كتاب الله، فيسفكون دماهم بالباطل على أخذ أموالهم ظلماً ، ويهتكون بها أعراضهم برمي الفواحش حتى يغفر بعضهم بعضاً، ويتمنوا الموت ولو على شقاء مِنَ الله، هذا الخلق الذميم لا يكون إلا في أشر الناس الذين يستعجلون الساعة أنْ تقوم عليهم ليستريحوا مما وقع عليهم مِنْ بلاء الله، أما وصف المؤمنين الذين يريد الله بهم خيراً أنْ يكونوا رحماء فيما بينهم فلا يحقر بعضهم بعضاً بالظلم، ولا التكلم بالأعراض ولا يسلمون الضعيف منهم للقوى ليبغي عليه خوفاً مِنْ مقام الله، فهم ممتثلون لقوله صلى الله عليه وسلم : **«المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يظلمه ولا يسلمه مَنْ كان في حاجة أخيه المسلم، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عن كربة مِنْ كُربَ يوم القيامة»** رواه البخاري ومسلم[1]، فلا يؤمِنُ أحدهم حقاً

(١) البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (٢٥٨٠).

حتى يمتثل للأوصاف الحميدة حُباً في الله، وهي في قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة[1]، فلا يأتي وصف ما ذكر لأحد إلا مَنْ بَعدِ مجاهدة النفس بالأمور الأربعة على تحصيله حتى يدركه مِنَ الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعلامة الإحسان النصر بالحقِ لكلِّ مسلم عرفَ أو لم يُعرفْ، امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلوماً ، فقال رجل: إنْ كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه وتمنع مِنَ الظلم فإنّ ذلك نصره» رواه البخاري.[2].

فما دام الناس يتظالمون ولا ينصر بعضهم بعضا بما ذكر فهم مخذولون منزلاً عليهم/ البأساء والضراء مِنَ الله، حتى إذا فعلوا ما يوعظوا به كان لهم به (١٣١/أ)
الخير والثبات والتمكين به في أرض الله.

روى أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «بَشّرْ هذه الأمة بالثبات والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب» رواه أحمد وابن حبان والحاكم[3].

اللهّم نوّر مِنّا البصيرة والبصَر،و اجعلنا ممنْ أبصر فاعتبر، وممن سمع وأطاع وأصطبر، حتى نالَ منك القوت يودَ الظفر، إنّك الرب الرؤوف الرحيم

---

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) البخاري (٦٥٥٢).

(٣) أحمد (٥/ ١٣٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٦٨)، وابن حبان (٤٠٥)، والحاكم (٧٨٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٥) والحديث صحيح.

الـودود الأبـر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أعلم أيها الناظر في هذه النسخة بأني بوبتها على ترتيب الماتن، وهو الشيخ محمـد بـن عبد الوهاب وشرحتُ على متنها ما يشرحُ صدر تعلّقت همته بطلب المعالـي حتـى ترحّم عليَّ وعلى من بوّب متنها، ووكل سريرة كلانا إلى الله، فإنَّ الله يعلـم خائـنة الأعـين ومـا تخفي الصدور، وأنا عقيل بن عمر الداعي إلى الله المنذر عذاب الله لمن أصر على معاصي الله ليتوب إلى الله.

(١٣١/ب)

تمت النسخة

الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس المراجع.
- الفهرس الموضوعي.

فهرس الآيات

الكهف

طه

الحج

المؤمنون

النور

الفرقان

القصص

العنكبوت

لقمان

الأحزاب

سبأ

فاطر

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس المصادر والمراجع

- الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، دار الراية، د. باسم الجوابرة، ١٤١١هـ.
- الأحاديث المختارة، الضياء المقدسي ، مكتبة النهضة الحديثة، د.عبد الملك الدهيش، ١٤١٠هـ.
- الأحاديث الطوال، الطبراني، مطبعة الأمة، حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤٠٤هـ.
- الأدب المفرد، البخاري، دار البشائر الإسلامية، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٩هـ.
- أسباب النزول ، الواحدي.
- الإصابة، ابن حجر، دار الجيل، علي محمد البجاوي، ١٤١٢هـ.
- اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، دار طيبة، د. أحمد سعد حمدان، ١٤٠٢هـ.
- الأمثال ، لأبي الشيخ، الدار السلفية بالهند، عبد العلي عبد الحميد حامد، ١٩٨٧.
- إحياء علوم الدين ، الغزالي، دار المعرفة.
- الأمالي المطلقة، لابن حجر، المكتب الإسلامي ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤١٦هـ.
- الاستذكار ، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
- الإبانة، ابن بطة، دار الراية ، وعثمان الأثيوبي، ١٤١٨هـ.
- الأربعين ، الحسن بن سفيان، دار البشائر الإسلامية، محمد بن ناصر العجمي، ١٤١٤هـ.
- الأربعون الصغرى، للبيهقي، دار الكتب العربي، أبو إسحاق الحويني، ١٤٠٨هـ.
- أحاديث الكلام في ذم الكلام، المقرئ، دار أطلس، الرياض، د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ١٩٩٦م.
- أحكام القرآن ، للجصاص،دار إحياء التراث،محمد الصادق القمحاوي،١٤٠٥هـ.
- أسد الغابة ، ابن الأثير.
- الإيمان ، ابن مندة، مؤسسة الرسالة، د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

- الإيمان ، العدني،الدار السلفية، الكويت،حمد بن حمدي الجابري الحربي،١٤٠٧هـ.
- الإشراف ، ابن أبي الدنيا.
- إثبات عذاب القبر، البيهقي ، دار الفرقان ، عمان، الأردن، د. شرف محمود القضاء، ١٤٠٥هـ.
- إصلاح المال، ابن أبي الدنيا.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة، د. حسين أحمد الباكري ١٤١٣هـ.
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعارف ، ١٤١٢هـ.
- البر والصلة، الإمام ابن المبارك، دار الوطن، د. محمد سعيد بخاري، ١٤١٩هـ.
- تاريخ جرجان، السهمي ، عالم الكتب، د. محمد عبد المعيد خان ١٤٠١هـ.
- تفسير الألوسي المسمى "روح المعاني"، دار إحياء التراث.
- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر.
- تاريخ الكبير، البخاري، دار الفكر ، السيد هاشم الندوي.
- تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
- تدريب الراوي، السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، عبد الوهاب عبد اللطيف.
- التدوين في أخبار قزوين، الرافعي، دار الكتب العلمية، عزيز الله العطاردي، ١٩٨٧م.
- الترغيب والترهيب، المنذري، دار الكتب العلمية، إبراهيم شمس الدين ١٤١٧هـ.
- تعظيم قدر الصلاة، المروزي ، مكتبة الدار، د.عبد الرحمن الفريوائي، ١٤٠٦هـ.
- تفسير أبن كثير، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- تفسير الطبري، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ.
- تفسير الطبري، تحقيق عبد الله التركي.
- تفسير البغوي.

- تفسير عبد الرازق للإمام عبد الرازق الصنعاني، مكتبة الرشد ، د. مصطفى مسلم محمد، ١٤١٠هـ.
- تفسير ابن المنذر، (قطعة منه).
- تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية.
- تفسير القرطبي، دار الشعب، أحمد عبد العليم البردوني ١٣٧٢ هـ.
- تلخيص الحبير، ابن حجر، السيد عبد الله هاشم اليماني، ١٣٨١هـ.
- تنزيه الشريعة، ابن عرّاق.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، ١٤٠٤هـ.
- تهذيب الكمال ، المزي، مؤسسة الرسالة، د. بشار عواد، ١٤٠٠هـ.
- التواضع والخمول، ابن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية ، محمد عبد القادر أحمد عطا، ١٤٠٩هـ.
- تذكير أولي البصائر شرح كتاب الكبائر، محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثرى، دار الرشد.
- تعجيل المنفعة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، د. إكرام الله إمداد الحق.
- تنوير الحوالك ، السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ.
- الثقات ، ابن حبان، دار الفكر ، السيد شرف الدين أحمد ، ١٣٩٥هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف ، د.محمود الطحان، ١٤٠٣هـ.
- جزء أشيب البغدادي، دار علوم الحديث ، القاهرة، خالد بن قاسم ، ١٤١٠هـ.
- الجامع ، لابن وهب.
- جزء الألف دينار، القطيعي،دار النفائس،الكويت،بدر بن عبد الله البدر، ١٩٩٣م.
- حلية الأولياء، أبو نعيم، دار الكتاب العربي.
- حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، دار طيبة ، مخلص محمد، ١٤٠٨هـ.

- الدعاء، الطبراني، دار الكتب العلمية، مصطفى عبد القادر عطا، ١٤١٣هـ.
- دلائل النبوة ، البيهقي.
- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني.
- ذم الدنيا، ابن أبي الدنيا.
- الرضا عن الله ، ابن أبي الدنيا، الدار السلفية، بومباي، ضياء الحسن السلفي، ١٤١٠هـ.
- روضة العقلاء، ابن حبان، دار الكتب العلمية، محمد محي الدين عبد الحميد، ١٣٩٧هـ.
- الزهد، ابن أبي الدنيا.
- الزهد، أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- الزهد ، ابن المبارك، دار الكتب العلمية، حبيب الرحمن الأعظمي.
- الزهد ، هناد، دار الخلفاء الإسلامي، د. عبد الرحمن الفريوائي، ١٤٠٦هـ.
- السنة، ابن أبي عاصم ، المكتب الإسلامي ، الألباني، ١٤٠٠هـ.
- السلسلة الصحيحة، الألباني، دار المعارف.
- السلسلة الضعيفة، الألباني، درا المعارف.
- سنن الدارقطني، دار المعرفة، هاشم اليماني، ١٣٨٦هـ.
- السنن الصغرى، البيهقي ، مكتبة الدار بالمدينة، د. محمد ضياء الرحمن ، الأعظمي، ١٤١٠هـ.
- سنن الدرامي، دار الكتاب العربي، فواز زمرلي، خالد العلمي، ١٤٠٧هـ.
- سنن النسائس (المجتبي)،مكتبة المطبوعة الإسلامية، عبد الفتاح أبو غدة، ١٤٠٦هـ.
- السنن الكبرى، النسائي دار الكتب العلمية، د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن، ١٤١١هـ.
- سنن البيهقي الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، عامر أحمد حيدر، ١٩٩٦م.

- سير أعلام النبلاء ، الذهبي، مؤسسة الرسالة، مجموعة محققين مع الشيخ شعيب الأرناؤوط، ١٤١٣هـ.
- السنن الواردة في الفتن ، لأبي عمر الداني، دار العاصمة، د. ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ١٤١٦هـ.
- السنن ، سعيد بن منصور.
- الشكر ، ابن أبي الدنيا، بدر البدر، ١٤٠٠هـ.
- شعب الإيمان ، البيهقي، دار الكتب العلمية، محمد بسيوني زغلول، ١٤١٠هـ.
- شرح السنة ، البغوي.
- صفة المنافق، الفريابي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، بالكويت، بدر البدر، ١٤٠٥هـ.
- الصمت، ابن أبي الدنيا، دار الكتاب العربي، أبو إسحاق الحويني، ١٤١٠هـ.
- صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح البخاري، دار ابن كثير، د. مصطفي البغا، ١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث ، محمد فؤاد عبد الباقي.
- صحيح الترغيب والترهيب، للمنذري، الألباني، دار المعارف.
- ضعفاء العقيلي، دار الكتب العلمية، عبد المعطي قلعجي، ١٤٠٤هـ.
- ضعيف الترغيب والترهيب، الألباني، دار المعارف.
- ضعيف الجامع الصغير ، الألباني، المكتب الإسلامي.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد ، دار صادر.
- العلل المتناهية، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- علل الترمذي الكبير، أبو طالب القاضي، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.
- علل الدار قطني، دار طيبة، د. محفوظ الرحمن السلفي، ١٤٠٥هـ.
- العلل ، ابن أبي حاتم، دار المعرفة ، محب الدين الخطيب، ١٤٠٥هـ.

- العجاب ، ابن حجر العسقلاني، دار ابن الجوزي، عبد الحكيم محمد الأنيس، ١٩٩٧م.
- عمدة القاري ، العيني.
- العيال ، ابن أبي الدنيا، دار ابن القيّم، د. نجم عبد الرحمن خلف، ١٩٩٠م.
- الغيبة والنميمة، ابن أبي الدنيا.
- الفصل للوصل المدرج، الخطيب البغدادي، دار الهجرة، محمد مطر الزهراني، ١٤١٨هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة.
- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، د. وصي الله محمد عباس، ١٤٠٣هـ.
- فيض القدير، المنادي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
- فضيلة العادلين، أبو نعيم الأصبهاني، دار الوطن ، مشهور حسن السلمان، ١٤١٨هـ.
- الفوائد، ابن مندة، دار الصحابة للتراث، طنطا، سعر عبد الحميد، ١٤١٢هـ.
- الفوائد ، تمام الرازي، الرشد، حمدي عبد المجيد السلفي ١٤١٢هـ.
- فضائل القرآن ، ابن كثير.
- قضاء الحوائج، ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن ، القاهرة، مجدي السيد إبراهيم.
- الكامل في الضعفاء ، ابن عدي، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- كتاب الدعاء ، الضبي، الرشد ، عبد العزيز بن سليمان، ١٤١٩هـ.
- كشف الخفا ، العجلوني، أحمد القلاشي، ١٤٠٥هـ.
- الكبائر مشهور حسن سلمان، دار الفرقان، ١٤٢٦هـ.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثمي.
- كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة.
- الكرم والجود، البرجلاني، دار ابن حزم، د. عامر حسن صبري، ١٤١٢هـ.
- لسان الميزان،ابن حجر، ١٤٠٧هـ.

- المسند الشافعي، دار الكتب العلمية.
- المسند للإمام ابن المبارك، صبحي السامرائي، دار المعارف.
- المسند للروياني، مؤسسة قرطبة، أمين علي، القاهرة.
- المسند للشاشي، مكتبة العلوم والحكم،المدينة،د.محظوظ الرحمن زين الله،١٤١٠هـ.
- المسند، إسحاق بن راهوية، مكتبة الإيمان، د. عبد الغفور البلوشي، ١٩٩٥م.
- مسند أبو يعلى، دار المأمون للتراث، حسين سليم أسد، ١٤٠٤هـ.
- مسند أحمد، مؤسسة قرطبة.
- مسند أحمد ، مؤسسة الرسالة تحقيق مجموعة من طلبة العلم مع الشيخ شعيب لأرناؤوط، ١٤١٦هـ.
- مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم، د. محفوظ الرحمن السلفي، ١٤٠٩هـ.
- مسند الحميدي، دار الكتب العلمية، حبيب الرحمن الأعظمي.
- مسند الشاميين ، الطبراني، مؤسسة الرسالة، حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤٠٥هـ.
- مسند الشهاب، القضاعي، مؤسسة الرسالة، حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤٠٧هـ.
- مسند الطيالسي، دار المعرفة.
- مسند عبد بن حميد، مكتبة السنة ، صبحي السامرائي، ١٤٠٨هـ.
- مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة، دار الرشد، ١٤٠٩هـ.
- مصباح الزجاجة، دار العربية، محمد المنتقي الكشناوي، ١٤٠٣هـ.
- معجم الصحابة، ابن قانع.
- المنتقى لإبن الجارود، مؤسسة الكتاب والثقافة،عبد الله عمر البارودي، ١٤٠٨هـ.
- موضوعات ، ابن الجوزي.
- مجمع الزوائد ، الهيثمي، دار الفكر.
- معجم السفر، أبو طاهر السِّلفي، المكتبة البخارية، مكة.

- مشيخة الرازي.
- مدارة الناس، ابن أبي الدنيا، ابن حزن ،محمد خير رمضان يوسف، ١٩٩٨م.
- مشيخة ابن طهمان.
- مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مجدي السيد إبراهيم، ١٤١١هـ.
- المجروحين، ابن حبان، دار الوعي، حلب، محمود إبراهيم زايد.
- مكارم الأخلاق ، الخرائطي.
- مجلس في رؤية الله للدقاق، الرشد ، الشريف حاتم عوني، ١٩٩٧م.
- المحدث الفاصل، الرامهرمزي، دار الفكر، د. محمد عجاج الخطيب، ١٤٠٤هـ.
- من حديث أبي الطاهر للدارقطني، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، حمدي عبد المجيد السلفي، ١٤٠٦هـ.
- من حديث يحي بن معين، الرشد، خالد عبد الله السبت، ١٩٩٨م.
- نيل الأوطار، الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية.
- نقض الدرامي على المريسي، للإمام عثمان الدرامي، الرشد، د. رشيد الألمعي، ١٩٩٨م.
- نصب الراية ، الزيلعي ، دار الحديث ، مصر، محمد يوسف ، ١٣٥٧هـ.
- اليقين ، ابن أبي الدنيا.

فهرس الموضوعات